محمد مصطفى
العمراني

قطـــوف في اللغة والأدب والفن

أدب

دار اليمامة للنشر الإلكتروني

محمد مصطفى العمراني

اسم الكتاب: قطوف في اللغة والأدب والفن

اسم الكاتب: محمد مصطفى العمراني

نوع العمل: أدب

الرقم الدولي EBIN: 16-1-230-220816

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

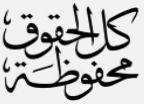

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

قطوف

في اللغة والأدب والفن

محمد مصطفى العمراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل عاشق للغة العربية متذوق لجمالها

أهدي هذه القطوف اليانعة من بستان لغتنا

الجميلة.

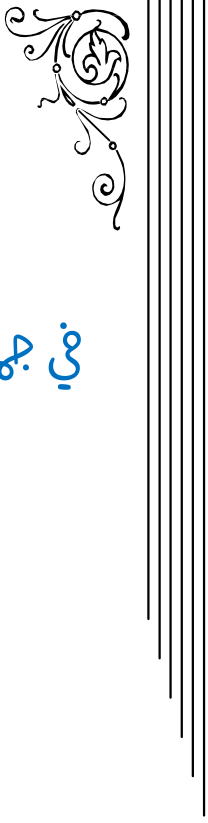

في جمال اللغة العربية / نماذج

العربية لغة الجمال والشاعرية والثراء

عندما تسافر إلى دولة أجنبية وأنت لا تجيد لغتها، أو اللغة الإنجليزية تشعر بالورطة والغربة، وأن بينك وبين الناس حواجز كبيرة، وحينها تقع في إشكالات كثيرة، عندها فقط تشعر بأهمية اللغة!

تسافر 22 دولة عربية، تتحدث معهم وتفهمهم ويفهمونك بفضل هذه اللغة العظيمة "لغة القرآن" التي وحّدت الأمة في لسانها، وكانت من أبرز القواسم المشتركة بين شعوبها.

من الحقائق العجيبة أنك تجد الكثير من المسلمين من غير العرب ربما يحفظون القرآن ويتلونه في الصلوات وغيرها، ولكنك إن جئت تتحدث إليهم باللغة العربية لا يستطيعون الحديث معك، مع أن القرآن احتوى اللغة العربية، وهذه حقيقة محيّرة!

الذين يتعلمون اللغة العربية من الأجانب يشعرون بصعوبتها في البداية، لأنها لغة اشتقاق ثرية بالألفاظ والمفردات، فمثلًا الخيل لها العديد من الأسماء، مثل: الخيل، الحصان، الفرس، المهر، الجواد... إلخ.

وهذه الوفرة في الألفاظ والمفردات هي من عوامل ثراء اللغة العربية ومميزاتها وغناها، فهذه الألفاظ والمفردات تُعد مادة خصبة للشاعر والناثر، ومن الأمثلة على هذا الثراء في الألفاظ والمفردات أن صحاح الجوهري قد أشتمل على عشرين ألف مفردة، وجمهرة ابن دريد على أربعين ألف مفردة، ولسان العرب لابن منظور على ستين ألف مفردة[1]، وفي القاموس المحيط بمعجمه الشامل الكامل ثمانون ألف مفردة، هذا بخلاف المجاميع الشعرية المختصة بالشعر الجاهلي التي تحتوي هي الأخرى على آلاف المفردات.

وأعود إلى صعوبة اللغة العربية للأجانب المبتدئين في تعلمها، الذين يظلون يتعلمونها في الجامعات والمعاهد لسنوات طويلة حتى يجيدوها، ومع هذا يظل للواحد منهم لكنة تحول بينه وبين إتقان اللغة، وخصوصًا في بعض الحروف مثل الضاد أو الخاء، وبعض الحروف العصية على غير

---

[1] انظر للتوسع كتاب: عناقيد أدب وفن، للراحل عبد الرحمن طيب بعكر – من إصدارات مؤسسة الإبداع بصنعاء وهذا رابط لنسخة إلكترونية منه:

file:///C:/Users/MOHAMMED/Downloads/Noor-Book.com%20%D8%B9%D9%86%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%AF%20%D8%A3%D8%AF%D8%A8%20%D9%88%D9%81%D9%86%203%20.pdf

العرب، ولذا سُميت العربية "لغة الضاد"، لأن هذا الحرف عصيٌّ نطقه على غير العرب.

لكنهم بعد إجادة اللغة العربية يحبونها ويشعرون بروعة هذه اللغة وجمالها، فهي اللغة الأكثر شاعرية بين اللغات في العالم، والأجمل نطقًا وفصاحة، والأكثر جمالًا، والأبهى سحرًا وجلالًا، والأبلغ تعبيرًا، والأبسط لفظًا، والأجمل رسمًا.

ومن روعة اللغة العربية هذه الشاعرية العجيبة؛ فمن لفظ الكلمة تعرف معناها لو تأملت، فمثلًا كلمة "جهنم"، من يتأمل لفظها سيجده يوحي بالتجهم والخوف والوحشة، غير كلمة "سلسبيل"، والتي توحي بالسلاسة والرقة، كأن اللفظ جدول ينساب حين النطق في الفم، وهو لفظ يناسب المعنى تمامًا، ومثلا كلمة "أفتتح" ألا يوحي لفظها بتفتح وانفكاك وانفراج، غير كلمة "أغلق" التي يوحي لفظها بالإقفال والانسداد، وغيرها كثير، إضافة إلى تلك الشاعرية العجيبة، ومعرفة المعنى من لفظ الكلمة، إلى كون الكلمات العربية والآيات القرآنية يمكن أن تتحول إلى لوحات مدهشة باذخة الجمال.

وللأسف فإن الكثير منا لا يدركون أن اللغة تعني بوابة الهوية، حتى إن كثيرًا من المثقفين والمفكرين يجدون صعوبة في الفصل بين اللغة والتبعية،

فمن يعشق لغة معينة يتبع حضارتها، والأمم التي تقوم عليها حتى في ولائه السياسي.

وقد أشار الأديب والمفكر العربي المهاجر والراحل/ جبران خليل جبران في كتاباته أن من يحبون اللغة الفرنسية ويتحدثون بها، يريدون من فرنسا إدارة بلدانهم، ومن يتحدثون الإنكليزية يريدون من بريطانيا والولايات المتحدة إدارة بلدانهم، أو يسعون ويتمنون حدوث أمر كهذا..

ولهذا فإن دولة مثل فرنسا –مثلًا– تسعى لفرض لغتها على الدول التي تحتلها، وتجعلها لغة الإعلام والتعليم والدولة، وتجرم من ينطق بغيرها، وإذا حدثت ثورة ضدها واضطرت لسحب قواتها وإعطاء هذه الدولة بعض مظاهر الاستقلال، فإنها تحرص على إبقاء لغتها، وتضغط لتوقيع اتفاقيات رسمية مع ذلك البلد لتبقى اللغة الفرنسية هي لغة تلك الدولة في الوثائق والمعاملات الرسمية والإعلام والتعليم، ولأجل هذا تؤسس فرنسا مراكز ثقافية لنشر اللغة الفرنسية، وتدعم الجامعات والمعاهدات التي تقوم بتدريسها، كما أنشأت فرنسا منظمة "الفرنكوفونية" كمنظمة دولية للدول والحكومات الناطقة باللغة الفرنسية (كلغة رسمية أو لغة منتشرة)، فتتكون المنظمة من أكثر من 80 بلدًا وحكومة، و57 عضوا و23 مراقبًا، وهذه المنظمة تعقد اجتماعاتها على مستوى قادة الدول

وزعمائها، لأن فرنسا تدرك أن اللغة ليست وسيلة للتخاطب فحسب، بل هي واقع معاش، ونمط تفكير، وسلوك حياة.

لقد كان المستعمر الفرنسي في غاية الذكاء وهو يغادر بجيوشه بعض دول أفريقيا، ويبقي على لغته، وينص في الاتفاقيات الرسمية على أن تظل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، لأنه يدرك أن اللغة وعاء الثقافة، والثقافة أداة التأثير الأكبر في العقول والوجدان والأذهان، وهو ما يعني بقاءه في هذه الدول بأشكال أخرى، وشيوع ثقافته، وانتشار فكره وتأثيره.

اللغة العربية ليست أداة تخاطب فحسب، ولكنها سياسة وحضارة واستراتيجية فاعلة، وعن هذا الأمر يقول الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين: (اللغة ليست مجرد وسيلة تخاطب. اللغة هي وعاء الفكر ووعاء العاطفة معا، والأمة العربية ـ ليست ككيان سياسي فقط بل ككيان حضاري أيضا ـ لديها فرصة نادرة لأن تكون لغتها سلاحا من أمضى أسلحتها في كل معاركها، ووسيلة خلاقة للمساهمة في صراع الحضارات العالمية الراهن، أو الحوار بين الحضارات.

لقد أتيح لي أن أذهب إلى بعض مناطق الحزام الإفريقي : السنغال، مالي، وسط إفريقيا، تشاد، غينيا، شمالي غانا ونيجيريا، جنوبي السودان

المسيحي، الصومال بفروعه المبعثرة، في أول أيام استقلال تلك المناطق، ورأيت لهفة الناس لتعلم اللغة العربية، لغة كتابهم المقدس، لغة عباداتهم وصلواتهم، ولغة جيرانهم الأقدمين، وشركائهم في التجارة عبر طرق القوافل التي شقها العرب قديما.

هذه اللغة أقرب إليهم وأسهل لهم، ولم تفرض يوما بالقوة عليهم. "

ويضيف الأستاذ أحمد بهاء الدين : (إن نصف الملايين التي ننفقها على الأسلحة القديمة ـ لا تحقق الفوائد الاستراتيجية التي يحققها استخدام سلاح اللغة العربية في آسيا وإفريقيا إلى أقصى مداه.

من بنجلاديش شرقا إلى الشاطئ الإفريقي غربا، أرض وشعوب، أخصب ما تكون لتلقي اللغة العربية وتحويلها إلى لغة أصلية لها مع الزمن.

إنه عمل حضاري فوق كل شيء، ووجه واحد من وجوه سلاح اللغة[1]

ومن المؤسف أن الدول العربية، رغم امتلاك الكثير منها موارد كبيرة وإمكانات هائلة، فإنها لا تحرص على نشر اللغة العربية بالقدر المطلوب، رغم تقبل شعوب العالم لها، ورغبتهم في تعلمها، وخصوصًا

---

[1] للتوسع أنظر مقال فارق شوشة: " اللغة العربية ـ سياسة وحضارة واستراتيجية "، والمنشور في زاوية " جمال العربية " بمجلة العربي الكويتية العدد 478 ـ سبتمبر 1998م.

الشعوب الإسلامية التي ترى أنها لغة القرآن والإسلام ولغة مقدسة، وتعلّمها يعزز صلتها بدينها وحضارتها وأمتها.

نتمنى على الدول العربية، وخصوصًا الخليجية، إنشاء صندوق عربي لدعم اللغة العربية وتشجيعها ونشرها، وتخصيص برامج في الجامعات العالمية للغة العربية، وتشجيع المعاهد والجامعات التي تدرسها، وإمدادها بالمدرسين والمناهج المناسبة.

الرافعي.. لغة متفردة، وأسلوب ساحر

قبل أكثر من عشرين عامًا كنت في مطلع شبابي، وبدأت حينها أقرأ في كتاب "وحي القلم" للرافعي –رحمة الله تغشاه–، وذلك لشهرته التي ملأت الآفاق، ولثناء الجميع عليه، ولكني حينها كنت أستوعب بعض المعاني وأفهمها، وأقرأ فقرات وربما سطورًا، ولا أفهم مراده منها.

وجدت فيه بعض الغموض، وذلك لأن لغته راقية لم أصل إلى مستواها، ثم تركت القراءة فيه، ومضت سنوات من عمري، وعدت إليه وأنا في الثلاثين من عمري، فوجدت فيه دررًا وجواهر لم أجدها في الماضي، وبدأت أفتح أبواب معانيه العميقة، وأعانق أفكاره السامية، وأتذوق حلاوتها، وأتمتع بسحر أسلوبه المتفرد في الكتابة، ثم عدت إليه الآن وقد زاد عمري على الأربعين فوجدته بحرًا مليئًا بالأصداف والجواهر واللآلئ، وهذا لا يكون في كل كتاب، ولكنه من سحر تفرد به "وحي القلم"، وهو من شواهد عظمته وروعته، فكلما قرأت فيه، وجدت معانيَ وأفكارًا جديدة، وكلما عدت إليه، باح لك بأسراره، وأضاء لك من أنواره، وأخرج لك من كنوزه ما يجعلك تعود بغنيمة وافرة لم تكن قد ظفرت بها في الماضي.

قرأت الكثير من الكتب، فلم أجد مثل لغة الرافعي المتفردة الراقية المحلقة في أفق عالٍ من الجمال والروعة التي لا مثيل لها، كيف لا وقد اقتبسها من القرآن، حيث عاش وكتب "تحت راية القرآن"، فأبدع وأجاد وأفاد في الحديث عن بلاغة القرآن، فقد (بدأ الرافعي حياته مع القرآن الكريم، وقد ختمها أيضًا معه، إذ كان القرآن الكريم آخر عهد له بالقراءة التي هي شغفه الأول والأخير، كما كان آخر عهد له أيضًا بالحياة التي عاش فيها مسافرًا على أجنحة الإبداع، أو متبتلًا تحت ظلال وحي القلم)[1].

ومما يؤثر في دفاعه عن لغة القرآن، قوله عن نفسه: "إنّه يُخيل إليّ دائمًا أنّي رسول لغوي، بُعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، فأنا أبدًا في موقف الجيش تحت السلاح".

لقد خاض الرافعي العديد من المعارك الأدبية مع الكثير من أدباء عصره، أشهرها معركته مع طه حسين في كتابه "تحت راية القرآن"، ومعركته مع عباس العقاد في كتابه "على السفود"، وإن كنت أرى أنها بقدر ما شكلت إثراء للساحة الأدبية حينها، وشغلت النخبة والقراء،

---

[1] ملحوظة: العبارات التي وردت بين قوسين () مقتبسة من فيلم وثائقي عن الرافعي بثته الجزيرة الوثائقية.

وقيل وكُتب عنها الكثير، إلا أن نقده للعقاد كان قاسيًا جدًّا وعنيفًا ومبالغًا به، ولعلَّ هذا لإيمانه بصواب موقفه، وعدالة القضية التي يحملها، ولعلَّ هذا أيضًا هو أسلوب الرافعي؛ فيه حدة ومبالغة وعنف وقسوة، رغم رقته؛ فهو شاعر رقيق، وإنسان فياض الأحاسيس، متدفق المشاعر!

وحين قرأت "وحي القلم"، أدهشني ذلك العمق الذي في كلماته، وأطربني أسلوبه الساحر المتدفق مثل نهر من العسل المصفَّى، وبهرني أسلوبه وهو يغوص في أعماق النفس البشرية، ويفلسف الحب والحياة، وخاصة في كتبه "حديث القمر" و"أوراق الورد" و"السحاب الأحمر" و"رسائل الأحزان".

(ورغم ما أودع الرجل في كتابه من تاريخ وعمق تحليلي وقراءة واعية للتراث العربي بمختلف مجالاته الثقافية والأدبية والدينية، فإنه كان بالنسبة له أقل من المرغوب ودون ما كان يروم، إذ يقول "لا أقول إنّي أتيت منه على آخر الإرادة، ولا أعزم أنّي أوفيتُ الإفادة").

في وحي القلم يحدثك الرافعي بمناجاة بديعة، وشعور صادق، عن خبايا النفس، وخفايا القلب، وتقلبات العواطف وأسبابها، ويفلسفها ويفككها، ويكشف لك أسرارها، ويُخرج لك أخبارها، وكأنه قد اصطلى

بنارها، فكتب كتابة من عانى وكابد الأشواق، وأحب وسهر الليالي، وجرب الهيام، وأصابه الشغف، وأشرف على التلف!

ودعني ألقي إليك بعضَ دُرَرِه، لتتأملها وهي تضيء وتشرق بمعانٍ مدهشة، وأفكارٍ بديعة، يقول: "الفجر لا يوقظ العيون من أحلامها، إنه من يوقظ الروح لأحلامها "، ويقول: "إن السرور ما هو إلا تنبُّه معاني الطبيعة في القلب"، ويقول وهو يتحدث عن الربيع: "الحياة إذا أنت لم تفسدها، جاءتك دائمًا هداياها"، "في الربيع تظهر ألوان الأرض على الأرض، وألوان النفس على النفس" و"ليس العيد إلا إشعارًا لهذه الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام، لا إشعارها بأن الأيام تتغير".

ويقول وهو يخاطب البحر: "وإذا ركبك الملحد أيها البحر فرجفت من تحته، وهدرت عليه، وثرت به، وأريته رأي العين كأنه بين سماءين ستنطبق إحداهما على الأخرى فتقفلان عليه، رأيته يتطأطأ ويتواضع، كأنك تهزه وتهز أفكاره معًا، وتدحرجه وتدحرجها، وأطرت كل ما في عقله، فيلجأ إلى الله بعقل طفل.

وكشفت له عن الحقيقة: أن نسيان الله ليس عمل العقل، ولكنه عمل الغفلة والأمن وطول السلامة".

(وحي القلم يحمل في طياته عصارة فكر الرجل وثقافته، كما يشمل أيضًا أنماطًا متعددة من القدرات الفنية والأسلوبية للكاتب، فهو جامع بين الخطابة والتاريخ والمقالة والقصة وغيرها من أنماط السرد الأدبي، التي توسعت بعد ذلك، ومهدت للأدب النثري، وفتحت له الطريق سالكة إلى الإبداع والعالمية).

والرافعي يكتب بقلب يتذوق الجمال ويستشفه في كل ما يكتب، وإذا كتب عن الجمال في المرأة، فإنه يكتب عن أرقى معنى له، ذلك الذي يتجاوز إثارة الغريزة الجسدية، أو النظرة بعين مراهق لا يرى الجمال إلا في شهوته وما يثيرها، ولكنه يرى هذا الجمال كجزء من كتاب الكون الكبير المفتوح، والذي يدعوك كل ما فيه من جمال وعظمة إلى الإيمان بالله الخالق المبدع، تبارك الله أحسن الخالقين.

يقول وهو يتحدث عن البحر:

وللربيع المائي طيوره المغردة، وفراشه المتنقل..

أما طيوره فنساء يتضاحكن، وأما الفراش فأطفال يتواثبون.

نساء إذا انغمسن في البحر خيل إليّ أن الأمواج تتخاصم على بعضهن.

رأيت منهن زهراء فاتنة قد جلست على الرمل جلسة حواء قبل اختراع الثياب، فقال البحر: يا إلهي! لقد انتقل معنى الغرق إلى الشاطئ!

ويضيف: "إن الغريق من غرق في موجة الرمل هذه".

فالحب عند الرافعي (لفظ وهمي موضوع على أضداد مختلفة: على بركان وروضة، وعلى سماء وأرض، وعلى بكاء وضحك، وعلى هموم كثيرة كلها هموم، وعلى أفراح قليلة ليست كلها أفراحًا)، وإذا ماست به مائسة من شوق، وأمل من وصال، رأى في الحب "امتزاج نفسَيْن بكل ما فيهما من الحقائق، حتى قال بعضهم: "لا يصلحُ الحبُّ بين اثنين إلا إذا أمكنَ لأحدِهما أن يقول للآخر: يا أنا".

فبأي آلاء الحب يحكم القاضي العاشق، وإلى أي ضفتيه يميل، يضج مرة أخرى صوت المتنبي في أعماق الأديب الأصم وهو يردد:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

والحب عند الرافعي (لا ينفك عن الجمال، فهما صنوان متكاملان، وروح حلت جسدين أو هما في اللفظ والمعنى على سواء من الترادف والتكامل).

عودوا إلى "وحي القلم" ستجدونه البحر فيه الدرر والكنوز، ستغرقون في جماله وروعته، ولن تغادروه إلى شاطئ الكتب الأخرى.

المقالح.. سفير الإبداع اليمني إلى العالم

في اليمن.. ظلَّ الكثير من الشعراء والمبدعين يبدعون وينشرون في النطاق المحلي ولم يتجاوز المحلية إلى الإقليمية والعالمية إلا قلة من المبدعين الكبار أمثال: الشاعر الراحل عبد الله البردوني، والدكتور عبد العزيز المقالح، الذي رحل مؤخرًا بعد حياة ثرية، قدم فيها لوطنه الكثير من الجهود، إذ عمل في الإذاعة، وفي الصحافة، وفي إدارة جامعة صنعاء، وفي إدارة المركز اليمني للدراسات والبحوث، وفي الكثير من الوظائف التي تقلدها والمهام والأعمال التي قام بها.

لقد أضاف «المقالح» الكثير من الإضافات المهمة للإبداع اليمني والعربي في دواوينه الشعرية، ودراساته النقدية للكثير من الظواهر الأدبية والكتب والأعمال الأدبية، إضافة إلى تراجمه المهمة عن الشخصيات اليمنية أمثال: أبي الأحرار والثوار الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري –رحمة الله تغشاه–، إذ ألّف عنه «المقالح» كتابه "الزبيري.. ضمير اليمن الوطني والثقافي"، وعلي أحمد باكثير، الذي يراه «المقالح» "رائد التجديد في الشعر العربي المعاصر"، وأحمد الحورش الشهيد المربي، وغيرهم من الأعلام.

لقد ظل «المقالح» منذ بزغ نجمه، وأشرقت شمسه، نِعم الأب الذي يرعى كل مبدع، ويأخذ بيده، ويشجعه، ويكتب له مقدمة في إصداره، لتكون جواز مروره إلى القراء، ولا يكتفي «المقالح» بهذا، بل يشيد بإبداعه في مقالاته، فلا تكاد تخلو مقالة له من ذِكر إصدار أُهدي إليه، مشيدًا به وبصاحبه.

وظلَّت مقالاته تُنشر في الصحف والمجلات العربية والأجنبية، كما ظلَّ الناس يستمعون إلى خواطره الرمضانية عبر الإذاعة، ثم يشاهدونه في التلفزيون في برامج عديدة، منها: خواطره الرمضانية، التي اتسمت بخطاب رصين وبطرح سلس ولغة هادئة، كما تُرجمت كتبه ومؤلفاته إلى العديد من اللغات الحية في العالم، وكرَّمته الحكومة الفرنسية بمنحه جائزة (الفارس) من الدرجة الأولى في الآداب والفنون من الحكومة الفرنسية في العام 2003م، كما كرَّمته اليونسكو في باريس بجائزة الثقافة العربية في العام 2002م، كما حصل في العام 1986م على جائزة (اللوتس)، وهي الجائزة الأدبية الدولية التي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا سنويًّا للأدباء الأفارقة والآسيويين البارزين، وقد كرَّمته كذلك مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية بجائزة الشعر في عام 2010م، كما نال الكثير من الجوائز والأوسمة.. ويكفيه حب القارئ اليمني والعربي واحترامه له، وتلك المكانة التي نالها في اليمن والعالم.

شخصيًّا، لم ألتقِ بالراحل «المقالح» في لقاء خاص، وهذا لتقصير مني وتكاسل، فقد هممت بزيارته مرات عديدة، إذ عُرف بتواضعه وحبه للكتاب والمبدعين من مختلف التوجهات، ثم شُغلت، ولكني التقيت به في بعض المناسبات العامة.

وعند موته ثار جدل كبير؛ فقد تذكر البعض بعض التجاوزات التي قالها في شعره خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي، ثم كتب بعد ذلك تلك الروائع الشعرية التي تمجد الله وتسبحه وتهفو إليه، وقد كنت أقرأ في كتابه "ذكرياتي عن خمس وعشرين مدينة عربية"، وهو من أواخر كتَبَه، فأجده يقول: «وقد كنت أصلي في تلك الجهة بالجامع الكبير بصنعاء، تلك الجهة التي لم تكن مضاءة حينها، فأشعر بلذة الطمأنينة ومناجاة الله»، وكذلك يتحدث عن صلاته في مساجد عربية شهيرة، وعن رحلاته للحج والعمرة، وفي حديثه وشعره تدرك مدى تديُّنِه وحبه لله ولخلقه.

وقد طالب البعض بعد موته بأن يتم تخليد أديب اليمن الكبير بإطلاق اسمه على شارع أو جامعة، وفي الحقيقة نحن لا نريد لشاعر اليمن وأديبها الكبير الراحل الدكتور عبد العزيز المقالح –رحمة الله تغشاه– تمثالًا في أحد الشوارع أسوة بغيره من عظماء العالم وعمالقته، التكريم

الحقيقي له هو الوفاء لنهجه في حب اليمن أرضًا وإنسانًا، وتشجيع كل مبدع فيها، وإعلاء قيمة الكلمة، ومد جسور المحبة والتواصل مع الجميع..

نريد من المؤسسات الإبداعية والجهات الثقافية والأسر التجارية اليمنية إطلاق جائزة الدكتور عبد العزيز المقالح في الشعر والقصة والمقال والمسرح وشتى الفنون والآداب..

نريد أن نرى اسم الدكتور عبد العزيز المقالح على مؤسسة ثقافية تليق بهذا العملاق الكبير، الذي كان طيلة حياته أروع سفير لليمن في المحافل العربية والعالمية، وأن تظل هذه المؤسسة تحتفي بالإبداع، وتطبع كتبه ودواوينه، وتهتم بنشر أعماله، وترعى كل فعالية أو دراسة حول جهوده الثرية في الأدب والنقد وغيرها.

لقد عاش المقالح لليمن الكبير، تألم لآلامه وعانى لمعاناته، وجسّد هذه المعاناة شعرًا ونثرًا.. فضَّل البقاء في صنعاء التي عشقها وكتب عنها شعرًا ونثرًا، رغم ظروف الحرب والإغراءات التي تلقاها من جهات عديدة، عربية ودولية.. أحب صنعاء، وفضَّل البقاء فيها؛ فهي المدينة التي عشقها، ووهبها عصارة قلبه قصائد كثيرة في حب صنعاء، ضمها في ديوانه "كتاب صنعاء".

ظلَّ المقالح بعيدًا عن المهاترات والمكايدات السياسية، ونأى بقلمه عن الخوض فيها أو الانحياز الأعمى لأي جهة على حساب وطنه وأمته.

رحم الله الدكتور عبد العزيز المقالح القامة والقيمة، المبدع والإنسان الذي جسد في حياته وإبداعه اليمن الكبير وآماله وآلامه.

باكثير.. رائد يمني لم ينل ما يستحقه

شاهدت مؤخرًا لقاءً نادرًا للروائي والأديب والشاعر والمؤلف المسرحي الراحل/ علي أحمد باكثير –رحمه الله– في أثناء زيارته للكويت، وأعتقد أن هذا اللقاء الذي أجراه الشاعر والإعلامي الراحل/ فاروق شوشة لتلفزيون الكويت، والذي لا يتجاوز 27 دقيقة، هو اللقاء الوحيد له والمتاح على اليوتيوب[1]، وفي هذا اللقاء يتحدث عن بداياته الأدبية، وعن آرائه في الشعر الحديث، وغيرها من القضايا الأدبية، التي كشفت عن مدى ثقافة هذا العملاق، وانحيازه للأصالة ولدينه وقضايا أمته.

باكثير مؤلف "وا إسلاماه"، و"ملحمة عمر"، و"الثائر الأحمر"، و"قصة شجاع"، و"سلامة القس"، وعشرات الروائع التي تنوعت بين شعر ورواية ومسرح وغيرها من الروائع الخالدة.

تفتقت موهبته في «حضرموت»، وبدأ بكتابة بعض المحاولات الشعرية، وكان قارئًا نهمًا للكتب التي تصله من «مصر» –مركز الحركة الإبداعية

---

[1] لمن أراد مشاهدة ذلك اللقاء النادر الذي أجراه الشاعر/ فاروق شوشة مع الأديب الكبير/ علي أحمد باكثير، وبثه تلفزيون الكويت يمكنك المشاهدة عبر هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=rU8xUybpWgM

حينها–، وقد ظل في «حضرموت» حتى توفيت زوجته في ريعان شبابها، فكانت صدمة كبيرة له، فغادر «حضرموت» في رحلة طويلة أوصلته إلى سفوح المجد والتألق والشهرة المدوية.

ومن حسن حظ «باكثير» المبدع الذي كان يجيد العربية والإنجليزية والفرنسية والملايوية الإندونيسية، أنه غادر إلى «مصر» وهي في سنوات مجدها الأدبي ومركز الإشعاع والتنوير في العالم العربي، وهناك تعرف على الأدباء والمبدعين، وكتب روائعه الأدبية، ونال الجوائز الكبيرة، وحصل على منحة تفرغ لمدة عامين (1961–1963)، فأنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في 19 جزءًا، وتَعد ثاني أطول عمل مسرحي عالميًّا، وكان باكثير أول أديب يُمنح هذا التفرغ في «مصر».

كما حصل على منحة تفرّغ أخرى، أنجز خلالها ثلاثية مسرحية عن غزو نابليون لمصر (الدودة والثعبان، أحلام نابليون، مأساة زينب) طُبعت الأولى في حياته، والأخريين بعد وفاته.

كما كان «باكثير» أول أديب يمني يحصل على الجنسية المصرية بموجب مرسوم ملكي في العام 1951م، وشارك «نجيب محفوظ» جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفة، وقلده الرئيس «عبد الناصر» وسام العلوم

والفنون في عام 1963، وقد أكد له «عبد الناصر» أن رواية وا إسلاماه" أكثر عمل أدبي تأثرت به قبل الثورة، كما رفض «عبد الناصر» اعتقاله لأنه يكتب في صحيفة "الإخوان المسلمون" قائلًا لقيادة المخابرات: "كلنا كنا أصدقاء لقادة الإخوان المسلمين، ونؤيد دعوتهم"، ويضيف «أمين هويدي» وزير المخابرات المصري الأسبق أن هذه العبارة أنقذت «باكثير» من السجن مرة أخرى، وذلك سنة 1966م، إذ رشحته المخابرات للاعتقال بسبب صلته بـ«سيد قطب»، لكن الرئيس «جمال عبد الناصر» رفض ذلك، بحجة أن «باكثير» لم يكن عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين، ولم يكن مرتبطًا بأي تنظيم سياسي، وكانت صلته بـ«سيد قطب» صلة أدبية، بدأت قبل أن يتجه الأخير للعمل السياسي[1].

كما التقى «باكثير» بالرئيس «محمد نجيب» وظل يتبوأ مكانة عالية في مصر، فشارك في كثير من المؤتمرات الأدبية والثقافية، واختير عضوًا في

---

[1] انظر للتوسع في موقع باكثير مقال الدكتور محمد أبو بكر حميد عن باكثير، مؤتمر باكثير الدولي بالقاهرة، على هذا الرابط:

http://bakatheer.com/moltaqa_details.php?id=608

لجنة الشعر والقصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، كما كان عضوًا في نادي القصة.

في أحايين كثيرة أتساءل: ماذا لو لم يهاجر «باكثير»؟ هل كان سيبدع ويؤلف كل تلك الروائع؟!

بالتأكيد الجواب: لا، فهذه بلاد تحرق الموهوبين من أبنائها، وتهمّش مبدعيها، وتحتفي بلصوصها وحفار القبور وقتلة الأحلام، ولكن الفتى الحضرمي ابن بطوطة عصره سعى في مناكب الأرض، ورحل عن بلاد لا يُكَرَّم فيها الإنسان، وتغرَّبَ عن الأوطان، حتى استقر به المقام في أرض الكنانة، وهناك أبدع وكتب، وتفتحت مواهبه، وتفجرت عبقريته...

- **«باكثير» يستقر ويبدع في مصر**

وصل «باكثير» إلى مصر سنة 1352هـ، الموافق 1934م، والتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًّا)، حيث حصل على ليسانس الآداب – قسم اللغة الإنجليزية عام 1939م، وقد ترجم عام 1936م في أثناء دراسته في الجامعة مسرحية (روميو وجولييت) لشكسبير بالشعر المرسل، وبعدها بعامين –أي عام 1938م– ألّف مسرحيته (أخناتون

ونفرتيتي) بالشعر الحر، ليكون بذلك رائد هذا النوع من النظم في الأدب العربي.

التحق «باكثير» بعد تخرجه في الجامعة بمعهد التربية للمعلمين، وحصل منه على الدبلوم عام 1940م. كذلك سافر «باكثير» إلى فرنسا عام 1954م في بعثة دراسية حرة.

اشتغل «باكثير» بالتدريس خمسة عشر عامًا، منها عشرة أعوام بالمنصورة، ثم نُقل إلى القاهرة. وفي سنة 1955م انتقل للعمل في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصلحة الفنون وقت إنشائها، ثم انتقل إلى قسم الرقابة على المصنفات الفنية، وظل يعمل في وزارة الثقافة حتى وفاته.

وقد أُلّف عنه وعن أعماله الكثير من الدراسات والأبحاث، وكُتبت عنه عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه، فضلًا عن المقالات التي كُتبت عنه، إضافة إلى البرامج التلفزيونية، كما أُقيمت عنه بعض الفعاليات والمؤتمرات التي كرست لتناول جوانب حياته وإبداعه، إذ احتفل أدباء العرب والمسلمين ممثلين في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ورابطة الأدب الإسلامية العالمية في القاهرة بالذكرى المئوية لميلاد أديب العروبة والإسلام/ علي أحمد باكثير في تظاهرة ثقافية لم تحدث لأديب عربي من

قبل، وخلال هذه الفعاليات قُدمت عشرات الأوراق البحثية، وتحدث خلال جلسات المؤتمر الكثير من الأدباء والمبدعين عن «باكثير» الأديب والإنسان[1].

- تنوع إنتاج باكثير

تنوع إنتاج «باكثير» الأدبي بين الرواية والمسرحية الشعرية والنثرية، ومن أشهر أعماله الروائية: "وا إسلاماه"، و"الثائر الأحمر"، و"سيرة شجاع"، و"الفارس الجميل"، و"ليلة النهر" وغيرها، ومن أشهر أعماله المسرحية (سر الحاكم بأمر الله)، و(سر شهر زاد)، التي تُرجمت إلى الفرنسية، و(مأساة أوديب) التي تُرجمت إلى الإنجليزية.

كما كتب «باكثير» عشرات المسرحيات السياسية والتاريخية ذات الفصل الواحد، وكان ينشرها في الصحف والمجلات السائدة آنذاك، وقد أصدر منها في حياته ثلاث مجموعات، والبقية نُشرت بعد موته.

---

[1] أُقيم المؤتمر في مطلع شهر يونيو عام 2010م، في القاهرة، تحت عنوان (علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية)، بمشاركة العشرات من الباحثين والمبدعين، ولقي المؤتمر حفاوة كبيرة في وسائل الإعلام.

أما شعره.. فلم ينشر «باكثير» أي ديوان في حياته، وتُوفي وشعره إما مخطوط، وإما متناثر في الصحف والمجلات التي كان ينشره فيها.

وقد أصدر الدكتور/ محمد أبو بكر حميد عام 1987 ديوان «باكثير» الأول (أزهار في أشعار الصبا)، ويحوي القصائد التي نظمها «باكثير» في «حضرموت» قبل رحيله عنها.

زار «باكثير» العديد من الدول، مثل: فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ورومانيا، وكتب صفحات عن انطباعاته عنها ومشاهداته فيها، إضافة إلى العديد من الدول العربية مثل سوريا ولبنان والكويت، التي طبع فيها «ملحمة عمر».

كذلك زار تركيا، حيث كان ينوي كتابة ملحمة مسرحية عن فتح القسطنطينية، ولكن المنية عاجلته قبل أن يشرع في كتابتها.

وفي المحرم من عام 1388هـ الموافق أبريل 1968م، زار «باكثير» حضرموت قبل عام من وفاته، إذ تُوفي في 10 نوفمبر 1969م، حيث دفن بمدافن الإمام الشافعي في مقبرة عائلة زوجته المصرية.

وقد قام الدكتور محمد أبو بكر حميد، والدكتور عبد الحكيم الزبيدي، بخدمة تراث «باكثير»، والعمل على تحقيقه وطباعته ونشره، وأطلقا

موقعًا باسمه فيه كتبه ومؤلفاته ومقالاته وبعض مذكراته، وهو جهد مشكور ويستحق التقدير.

عن رائد أدب الأطفال في اليمن

يكاد أدب الأطفال أن يكون الغائب الأبرز في المشهد الإبداعي في اليمن، رغم أهمية هذا الأدب كونه ما يغذي وجدان رجال المستقبل بالعلوم والمعارف والمفاهيم الجادة والقيم الهادفة، ويُعد الشاعر الدكتور إبراهيم أبو طالب الاستثناء الوحيد في هذا المجال، فقد أفرد للأطفال ستة دواوين شعرية، فيها مئات القصائد التي تناسب الأطفال، وهذه الدواوين هي: (أغاريد وأناشيد)، و(هيَّا نغنِّ يا صغار)، و(أغاريد وأناشيد للبراءة)، و(أناشيد الطفولة) جزأين، و(أنا أحب عملي) كتاب العربي الصغير، إضافة إلى تجهيزه موقع كامل في النت مخصص للأطفال ضمن موقعه على النت:

http://www.iabotaleb.com/Children_Literature.php

وفيه كل دواوينه الشعرية للأطفال، وعشرات الأناشيد المصورة، وعشرات القصص التي تناسب الأطفال، ويمكن الاستماع إليها وتنزيلها، فضلًا عن مسابقات الأطفال، وهو جهد متميز، ويُحسب للدكتور إبراهيم أبو طالب، صاحب المواهب المتعددة والجهود الكبيرة،

فهو الأديب والناقد اليمني الذي يقوم بجمع كل الروايات والقصص اليمنية القصيرة منذ الأربعينيات إلى اليوم، ويصدر دراسات جادة عنها، ولديه أرشيف كامل بكتاب القصة القصيرة في اليمن وقصصهم، فضلًا عن الروايات والروائيين، وهو جهد يعدل جهد مؤسسة ثقافية بكاملها، ولم تصل وزارات الثقافة في عدن أو صنعاء إلى ربع الجهد الذي يقوم به في خدمة الأدب اليمني وأدب الأطفال، وهذه كلمة حق يجب أن تُقال.

- **متعة الحياة مع الأطفال**

بين يدي الآن النسخة الورقية من ديوان الدكتور إبراهيم أبو طالب "أغاريد وأناشيد"، وهو من إصدارات مؤسسة الإبداع الثقافية في صنعاء، وفي مقدمته يقول الدكتور عبد الولي الشميري، رئيس مؤسسة الإبداع: «الدكتور إبراهيم أبو طالب، ذلك المبدع الموهوب، الذي شب عن الطفولة إلا عاطفته وحنان قلبه، فما زالا في براءة البرعم الذي استطاب اللبث في أكمامه، إنها هبة من الله يختص بها من يشاء.

إن كل عمل أدبي يستهدف الأطفال، إنما يعني ذلك التسابق الصحيح لتشكيل جيل المستقبل، من خلال احتلال مراكز التصور المبكر في ذاكرته، والإجابات المقنعة على فضوله وإلحاح أسئلته.

وبقدر ما هو مطلوب من كاتب الطفولة وشاعرها أن يلغي عقودًا من سني عمره ليخاطب الأطفال من مكان قريب لتفكيرهم، ونبوغهم المبكر، ليكون مطلوبًا من ذات الشاعر أن يخص كل مرحلة من مراحل الطفولة بما يتناسب مع إدراكها، وتفكيرها.

فالطفل بين سنة وأخرى يجب أن تتغير لغة مخاطبته وأساليب تربيته، إذ إن خيالات الأطفال ومواهبهم تعيش أطوار النمو المتتابع السريع.

كما أن أدب الأطفال ليس ما يصلح منه للطفل الذكر يصلح للطفلة الأنثى. فللطفل الذكر التزامات مستقبلية يجب أن نعده لها بما يناسبها، وللطفلة الأنثى التزامات مستقبلية كذلك، تختلف تمامًا عن التزامات الرجولة، لذلك فلها الحق في نشيد ونصوص تساعدها على رسم ملامح المستقبل.

وحتى لا يجد أحد الجنسين نفسه مغيبة من ضمائر المخاطبة، ويستسلم لإحباط غير معلن، ثم يتحول في مستقبله إلى شعور بالظلم، وعدم المساواة)[1].

بحسب الدكتور إبراهيم أبو طالب، فالطفل يحتاج إلى لغة خاصة في الكتابة له، ولكن التركيز على مفردات المحيط بالطفل والاهتمام اليومي والوضوح في المعنى، يناسب مرحلة عمرية، بحيث تأتي المفردة مناسبة للمرحلة المخاطبة، وكذا الفكرة والموضوع والصورة، ويرتبط بذلك كله المعنى المناسب للسن المناسب، كل ذلك يحتاج إليه كاتب أدب الطفل سواء وجّه له شعرًا منغمًا أو قصصًا محكمًا.

وبرأيي، فالحياة مع الأطفال وكتابة القصص والقصائد لهم، تصفي الذهن والقلب من مشاغل الكبار ومشكلاتهم، وتجعل المرء يعيش البراءة والبساطة والفطرة مع الأطفال وعالمهم المملوء بالمحبة والنقاء، ولهذا فإن من يمنحه الله الموهبة لكتابة أدب الأطفال، يمنحه القلب الطيب المملوء

---

[1] انظر للتوسع ديوان "أغاريد وأناشيد"، د. إبراهيم أبو طالب، من إصدارات مؤسسة الإبداع الثقافية في صنعاء، الطبعة الأولى في العام 2010م. وهذا رابط لمن أراد تحميل نسخة من الديوان:

https://drive.google.com/file/d/1wvOTJ7cwd__Pabh5whrSTKxRQgxmfS76/view

بالأحاسيس البريئة، والذهن الصافي البعيد عن مشكلات الكبار وهموم عالمهم.

- <u>قراءة في أغاريد وأناشيد</u>

أتصفح ديوان "أغاريد وأناشيد"، وتعود بي الذاكرة إلى طفولتي التي لم تجد مثل هذه الأناشيد الرائعة، ففي الديوان "مع الأنبياء"، إذ يصوغ قصص الأنبياء في أناشيد بسيطة رائعة، فعن قصة نبي الله صالح –عليه السلام– يقول:

من بعد "عاد" في "ثمود " قد جاء بالبرهان صالح

وبـــناقة مــا مثلــها   إني لكم يا قـوم ناصح

قالـوا: فـأنت مسـحر   مــا أنـت إلا مثلـــنا

إن كـنت حقًّـا صـادقًا   فــدع العـذاب يعمـنا

وتطاولـوا بضـــلالهم   ذاك الـذي أشقــى ثمود

عقروا، فدمدم ربــهم   بذنـوبهم بُعدًا "ثمود"

ونمضي مع «أغاريد وأناشيد» الدكتور إبراهيم أبو طالب للأطفال، إذ يدخل عالم المدرسة بعدد من القصائد البسيطة المعبرة، والتي تحبب الطفل في المدرسة وطلب العلم والكتاب والقلم والرسم بالألوان والرياضة، والرائع أن هذه القصائد تصلح أناشيد وأوبريت يمكن تمثيله بمشاهد مسرحية في طابور المدرسة وفي احتفالات الطلاب المدرسية، ومن هذه القصائد هذا النموذج الرائع، إذ يقول:

أهوى بمدرستي كتبي وهندستي

ونشيد أغنيتي أهواك مدرستي

يا موطن الشمس والعلم والدرس

بندائك القدسي قد أشرقت نفسي

أنا طالب أسعى كي أجتني نفعا

أنا باسمه أدعى ولنهجه أرعى

في قدسها ننمو ونفوسنا تعلو

وبعلمها نسمو وإلى العلا نخطو

بالجد تلقاني رمزًا لإخواني

والصدق إيماني والعزم عنواني

ونمضي في جولتنا في "أغاريد وأناشيد" لنصل إلى "الطيور والحيوانات أصدقاؤنا" فنجد العديد من القصائد البسيطة التي تناسب الأطفال عن "الحصان السريع" و"الزرافة" وعن "الطيور المهاجرة" و"النملة الذكية" و"النحلة النشيطة" و"العصفورة المغردة" و"طفلتي والعصافير"، فعلى لسان النملة يقول:

عاملة كسوبة في الصبح والمساء

بخفة دؤوبة جامعة غذائي

أسير في أسرابي بحثًا عن الطعام

أعود في إيابي نائلة مرامي

بالادخار أعُرف لأنني ذكية

وبالنشاط أوصف في الصبح والعشية

أعيش في نظام ليس له مثيل

بكل انسجام عالمنا جميل

وفي "أغاريد وأناشيد" وهو نموذج لدواوين الشاعر/ إبراهيم أبو طالب عن الأطفال، قصائد عن تعاليم دينية، وعن أطفال فلسطين، وأحياء وأشياء نحبها، وعن فوازير ودول ومدن عربية، وما أوردناه هنا مجرد قراءة سريعة ونماذج ومقتطفات عن جهود الدكتور/ إبراهيم أبو طالب في مجال أدب الأطفال، وهو جهد يكاد يكون الوحيد في نوعه في اليمن، فالطفل العربي –كما يقول الدكتور إبراهيم في حوار مع صحيفة الوطن السعودية– أحوج ما يكون إلى الأدب الحقيقي الصادق، الذي يحافظ على خصوصيته وهويته وهي الفطرة الإسلامية، وهوية القيم العربية البسيطة والأصيلة والعميقة في ذات الوقت، كقيم الحب للأسرة والالتفات إليها والالتقاء حولها، مذكرًا بأن ما يراه الأطفال ويرصدونه هنا وهناك، يوضح أنهم على قدر من الذكاء والالتقاط، وإنْ ظن البعض أنهم صغار لا يفقهون أو لا يدركون، بل هم أكثر التقاطًا وفهمًا وتقييمًا للأحداث من الكبار، ذلك يؤثر بلا شك في حياتهم، وقد يظهر في بعض معالم العنف في ألعابهم وفي تصرفاتهم وفي أقوالهم، لذلك يجب رعايتهم والبعد بهم –قدر المستطاع– عن متابعة نشرات الأخبار، التي يدمن عليها الآباء دون إدراك لحضور الصغار ومتابعتهم، لأن ذلك يترك شروخًا نفسية غائرة في وجدانهم، فيكون ذلك سببًا من أسباب القمع والخوف والارتباك الذي يصحبهم في نموهم، ويرافقهم في مستقبلهم.

فضلًا عن كون الدكتور أبو طالب شاعرًا وباحثًا وأكاديميًّا رصينًا يستحق التنويه بجهوده الأدبية المهمة، والإشادة بإضافاته الكبيرة للمكتبة اليمنية والعربية.

الدكتور/ عبد الواحد الخميسي، العالم الناقد

لقد مر أكثر من عامين على رحيل أخي وأستاذي الدكتور/ عبد الواحد الخميسي –رحمة الله تغشاه–، وقد نساه الكثير من طلابه ومحبيه وإخوانه، لكنني لن أنسى هذا الإنسان، فقد عملنا معًا قرابة 10 سنوات، كان رئيسًا لتحرير صحيفة "صوت الإيمان"، وكنت مديرًا للتحرير، ولي معه الكثير من المواقف والذكريات التي تستحق أن تُروى.

وحين تناقشت مع الشيخ عبد المجيد الزنداني حول تطوير الصحيفة، بعد أن كلفني بتولي إصدارها بحلة جديدة، اقترحت له الدكتور عبد الواحد الخميسي رئيسًا للتحرير، فوافق عليه فورًا، وذهبت إلى الدكتور عبد الواحد وطرحت عليه الأمر، وأعترف أنه كان مترددًا في رئاسة تحرير الصحيفة، لكنني أقنعته، ووعدته بأن أتحمل مسؤولية تحريرها، وسيكون دوره الإشراف عليها، ومراجعة الموادّ وضبطها لغويًّا، ولن أشغله كثيرًا بتفاصيل العمل الصحفي، وهو ما كان، وفي أول أعداد الصحيفة لم نلحق من الميزانية سوى 100 ألف ريال (عام 2005)، فقد علمت الإدارة السابقة أن هناك إدارة جديدة للصحيفة، فاستلموا الميزانية وصرفوها رواتب و... إلخ، وقد استطعنا بهذا المبلغ طباعة ثلاثة آلاف

نسخة من الصحيفة، وزدنا في عدد الصفحات من 8 صفحات إلى 12 صفحة، وطورناها كثيرًا وقمنا بعمل أبواب جديدة، ومواد متميزة، وكتابات حصرية، وقد نفد العدد كاملًا بعد أن كانوا يطبعون منها 2000 نسخة تُباع منها 250 نسخة في أحسن الأحوال!

وقد ظلت الصحيفة في تطور مستمر، وزدنا عدد الصفحات إلى 16 صفحة، مع هدية مرفقة، وكنا نطبع 5 آلاف نسخة ونبيعها مقدمًا لدار النشر، ظلت الصحيفة إلى الأمام، حتى تدهورت الأوضاع المالية للشيخ الزنداني، وحوصرت الجامعة ماليًّا، فتراجع اهتمامه بها، ولم تعد أولوية لديه!

وفي منزل الدكتور عبد الواحد الخميسي، كنا نلتقي مع ثلة مع العلماء وطلبة العلم، وكانت لنا نقاشات وأحاديث غاية في الروعة.

- **علم لم نعرف قدره**

من المؤسف أننا في هذا البلد لا نعرف قيمة العلماء إلا بعد رحيلهم، فأمثال الدكتور عبد الواحد الخميسي، كان ينبغي أن تُسجل معه مئات الحلقات والبرامج العلمية واللغوية، والاستفادة منه، فقد كان متبحرًا في

علـوم اللغـة العربيـة، وأسـتاذًا لهـا، وكـان يشـرف علـى مراجعـة مجلـة "الشقائق" التي كانت تصدر عن قسم الطالبات في جامعة الإيمان، كما أشرف على مراجعة مئات الأبحاث والرسائل.

وفي السنوات الأخيرة باعدتنا الظروف التي عاشتها اليمن من حرب وتهجير، وتفرّقنا، فلم أعد أراه إلا على مواقع التواصل الاجتماعي.

يقول عنه العلامة الدكتور فضل مراد: (مع الإمام الخميسي أبي عبد اللطيف كأنك تقرأ للزمخشري، لو أن هذا العلَم الشامخ ألّف تفسيرًا لفاق الزمخشري وابن عاشور.. لقد شرب اللغة والبيان شربًا، وكانت له طبعًا مع إتقانه فقهًا وأصولًا وفروعًا وفرائضَ، لقد بلغ درجة الاجتهاد في فنه، ولقد صحبته عشر سنوات دراسية ومثلها زمالة أكاديمية، نصف عمري كنا معًا.

أطلب من طلبة الدكتوراه والماجستير جمع تراثه وتحقيقه وطباعته ونشره، عَلَم من جيل الزمخشري، كان مرجعَ الكبار، إنه زميلي وصديقي وشيخي الإمام العلامة سيبويه العربية وزمخشري القرآن/ عبد الواحد الخميسي، عليه سحائب الرحمة).

- **نقده لشعر «عامر السعيدي»**

لقد كانت كتاباته غاية في الروعة والجمال، فقد كان ينثر على قرائه جواهر اللغة العربية ودررها، ويكشف مواطن جمالها وروعتها، وأعترف أنني استفدت منه كثيرًا في هذا المجال، وبمناسبة ما أُثير من جدل حول بعض قصائد الشاعر عامر السعيدي، فهذا تعقيب للدكتور عبد الواحد الخميسي على قصيدة عامر السعيدي التي كانت عن ثورة سبتمبر، وكيف انتقد تجاوزاته بأسلوب رائع، وبطرح علمي مقنع، يقول الدكتور الخميسي:

الحقيقة: أن القصيدة رائعة، وأروع منها سبكها الجميل، ومفرداتها اللؤلؤية، وتفعيلتها الغنائية الحلوة «فاعلاتن»، إلا قوله: «لو أتى الله على أكتافكم» ففيه تجاوز من وجهين:

أحدهما: تجسيم الذات الإلهية وتصويره بشيء يُحمَل على الكتف، وهذا باطل باتفاق الجميع: مَن منهم يؤول الصفات الإلهية، ومن يحملها على الظاهر دون تجسيم أو تعطيل.

التجاوز الثاني: الحط من مكانة رب العزة والجلال والجمال، والذي لا يحيط به أحد، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما وما وراء ذلك.

أقول: حطه –تعالى– من مكانته العالية التي لا تدانيها مكانة، وتصويره بشيء يُحمَل على الكتف –تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا– يُعتبر تجاوزًا كبيرًا من الناحية الدينية والشرعية.

ثم إن المجاز هنا غير وارد بتاتًا باتفاق كل الفرق، فلا يصح أن يُقال: إن المراد هنا دين الله أو شرعه، لأن العلماء جميعهم: المؤوِّل منهم والمثبت ينفون المجاز في مثل هذا التركيب، وعليه.. فرجاؤنا من الأخ عامر تعديل البيت بما يتناسب مع تنزيه الله، ويتناسب مع المقام. وله منا الدعاء في مسيرته الأدبية.

وقد تمنيت على بعض طلبة الدكتور عبد الواحد الخميسي ومحبيه أن يجمعوا شتات كتاباته وإصدارها في كتاب، وأبديت استعدادي للتعاون معهم في هذا المجال، ورواية ما عشته معه من قصص ومواقف وأحداث. وقد تواصل معي الدكتور عامر الخميسي، وأخبرني أن هناك مبادرة من هذا القبيل، وقد كلف بها أحد الإخوة، ولكن المشروع لم يخرج للنور بعد، ربما بسبب الظروف التي تعيشها البلاد.

رحم الله الدكتور عبد الواحد الخميسي ما غرّد طير أو طار، وما تعاقب الليل والنهار.

عن شاعر وُلد بين الخمائل.. وأنصت لبكاء الياسمينة

عندما بدأت الكتابة عن العالم الشعري الأستاذ/ أحمد آل مجثل الغامدي، أحسست أن الكلمات بدأت تخضرّ، وأن اللغة تنبت لها أجنحة، وتحلق في سماء مليئة بالغيم والمزن والمطر، وبكل ما تحمل هذه المفردات الطبيعية من شجن، ذلك أن عالمه الشعريّ الثريّ فيه من السمو الروحي الشفاف ما يجعل لقصائده صدى مؤثرًا في الروح، وشجنًا عميقًا في وجدان المتذوق، يجعله يشعر بمدى رُقيّ إحساسه وفيض عاطفته.

تشكل قصائد الشاعر السعودي/ أحمد الغامدي عالمًا متفردًا بذاته، فهي لا تتقيد غالبًا بقيود النظم المعروف لأي شاعر عاديّ، يضع كل همه في الوزن والنظم والقوافي والموسيقى الشعرية الكلاسيكية، بحيث يرضي القارئ العادي إلى عفوية البوح الصادق الذي يدندن شدوه، ويطرب حداؤه على ربابة الإحساس الخلّاق، ورغم أن للشاعر الغامدي قصائدَ موزونة، مُلْتَزَمًا فيها بشروط الشعر الكلاسيكي، فهو الدارس منذ ريعان شبابه للقوافي والعروض والوزن الشعري، فإن كثيرًا من

المقطوعات الشعرية في عالمه تهطل كحوريات جميلات من عالم سماوي، فيستقبلها بكل حفاوة، ويدعها تنام في خدر، لا يوقظها بوزن، ولا يقيدها بقيود القافية والموسيقى الكلاسيكية، إذ إن لها موسيقى من نوع آخر، موسيقى روحية عذبة، يقول في إحداها:

في لُجَّةِ العُمْرِ..

أفْتَرِشُ البَقايَا..

مِنْ بَيَاضِ الرُّوحِ..

وخَاتِمَةِ المُحَال..

في لَهْفَةِ الوقْتِ..

أسْتَبِقُ الخَطَايَا..

مِنْ شَغَافِ القَلْبِ..

وعَاقِبَةِ السُّؤال..

في غَمْرَةِ الشَّوْقِ..

ألْتَحِفُ المَنايا..

مِنْ شِفَاهِ المُزْنِ..

ودَانِيَةِ الظِّلال..

إيهِ

مِنْ وَجَعِ النِّصَال..

وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود وما يقارب الأربعة، ظلّ الشعر نهرًا متدفقًا في وجدان الشاعر الغامدي، رغم أنه عمل في مجال الإعلام، وتنقّل بين عدة صحف سعودية معروفة، وتفرّد بسبق صحفي مرات عديدة، وسجّل في رصيده انفرادات كثيرة، ولقاءاتٍ مع مشاهير مع عموم العالم العربي، فإن الإعلام والصحافة لم يتمكّنا من سرقته من عالمه الشعري، إذ ظلّ الشاعر حيًّا في فؤاده وروحه ووجدانه...

وفي شعر الأستاذ/ أحمد آل مجثل الغامدي حنين جارف وتوق إنساني إلى زمن النقاء الفطري والصفا الذي كان في الطفولة وفي أيام الشباب، بكل ما فيها من ذكريات ومشاعر، وفي شعره اعتراف بأن الروح قد علق بها من الغبار والشوائب ما علق، وقيدتها قيود كثيرة حدّت من

حريتها وانطلاقتها، وجعلتها تعيش غربة روحية تكاد تخنق الإنسان الشاعر يقول في مقطوعة شجية:

لا لَمْ نَعُدْ..

كَالغَيْمِ..

نَسْكُبُ..

قِنّينَةَ العِطْرِ المُذَاب..

لا لَمْ نَعُدْ..

كَالطَّيْرِ..

نُنْشِدُ..

تَرْتِيلَةَ الصُّبْحِ الرَّبَاب..

لا لَمْ نَعُدْ..

كالحَقْلِ..

نَبْسُطُ..

كَفَّ المَرَايا العِذَاب..

لا لَمْ نَعُدْ..

- **حنين إلى زمن النقاء والطبيعة البكر**

ومثلما يحن الشاعر أحمد آل مجثل الغامدي إلى زمن النقاء والصفا والبراءة والطفولة، تتعدد مفردات الطبيعة في شعره بصورة لافتة مكانًا وزمانًا وظواهر طبيعية مثل: "الغيم، المزن، المطر، الحقل، الصبح، النخل، المساء، الرمل، الصحاري، العتمة، القمر"، ولا نستغرب وهو الشاعر الذي وُلد بين الـ "خمائل"، وهو عنوان ديوانه الأول، وأستمع لـ "بكاء الياسمينة"، ديوانه الثاني أن تجرفه سيول الحنين إلى عالم الطبيعة البكر، تلك الأم الحانية في زمن غرق الإنسان في مشاغل لا تُحصى، ومشكلات لا تُعد، وغمرته غربة الروح في هذه المدن "غابة الأسمنت" التي تسرق العمر، ولذا فالشاعر الغامدي يشتاق إلى الحياة في أحضان الطبيعة البكر بكل ما فيها من هدوء وسكينة وروح شاعرية، ويظهر شوقه إليها في قصائد كثيرة، إذ يقول:

أحن إليها..

ولي بين الحقول..

سنابل وغرام..

متى جئتها نايا..

تلبسني غمام..

تهيم بها الروح..

عشقا ومسكنا..

فأغدو بينها طفلا..

تداعبه يمام..

أحن إليها..

فيسكب عطرها لغتي..

ويمضي

صوب فاتنتي الكلام..

● زهد في النشر.. رغم وفرة القصائد

ومثلما قلنا في بداية تطوافنا في العالم الشعري للشاعر/ أحمد آل مجثل الغامدي، أن الغامدي لا يضع كل همه في الوزن والنظم والقوافي والموسيقى الشعرية الكلاسيكية، بحيث يرضي القارئ العادي، وإنما يكتفي بعفوية البوح الصادق السامي روحًا وفكرًا والمشع ألقًا، فكذلك هو لا يضع النشر أولويةً له، رغم استطاعته إصدار عشرة دواوين دفعة واحدة، لكن الشاعر يكتفي بهمسات البوح، وقيثارة النجوى، وربابة الشدو التي يطربنا بها ويعزف على وتر قلوبنا مقطوعاته الموسيقية، التي تنهمر مطرًا وشلال فرح، وتسطع كبدر من الألق، وتسمو كطائر في سماء الروح، وتحلّق كنورس في أفق فسيح، يكتفي بمقطوعات ينشرها على صفحته بالفيسبوك أو بتويتر أو ببعض الصحف في بعض الأحيان، ولنترك الشاعر الغامدي يحدثنا عن هذا الأمر، إذ يقول في مقدمة ديوانه الثاني (عندما تبكي الياسمينة): «بين إصداري للديوان الأول عام 1982م (خمائل) الذي أصدرته جمعية قصر ثقافة الغوري بالقاهرة، وأنا أدرس بالجامعة، وإصدار ديواني الحالي (عندما تبكي الياسمينة) 2014م، ثلاثة عقود أو قُل (32) عامًا.

هي فترة زمنية لها حكاية السنوات الماضية بكل تفاصيلها وأحداثها وحُلْوها ومرّها، الصديقين العزيزين: فهد الربيق، وهو فنان تشكيلي من جيل ما بعد الرواد، وإن كان هو شريك تلك المرحلة لحركة الفن التشكيلي في المملكة التي تجاوزت فيها تجربته الإبداعية (40) عامًا كان يصرّ ويلحّ منذ سنوات أن أدفع بهذا الديوان للمطبعة والنشر، وقرأ كل ما احتواه الديوان برؤيته الفنية، وليست النقدية بحبٍّ وودٍّ، وما ظنه بحُسن ذاته أنه يقترب من اللوحة التشكيلية المكتوبة شعرًا.

والصديق العزيز الأستاذ الشاعر الجميل/ عماد قطري، الذي عرفته في مشاركات ومناسبات متعددة، يأبى في كل لقاء إلا أن يذكرني بوعدي له: قريبًا سيكون الإصدار.. وها هو اليوم يفرح بإصدار ديواني الجديد الثاني من خلال مركزه: عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية بالقاهرة.

وها هي الأقدار والشرف لي الذي احتوى تجربتي الأولى في مصر، تعود لذات المكان (مصر التي علمتنا)، في الوقت الذي أُغلقت فيه بعض وليس الكل من بواباتنا الثقافية هذا الفرح في وجوهنا –نحن ثلة من تربة هذا الوطن– وكأن (زامر الحي لا يطرب)، ليس مهمًّا أن أعلق على هذا الحال كثيرًا، وأنا أبتهج مع كل أصدقائي وأهلي وأحبابي بهذا المولود الجديد».

ما تزال بساتين الشاعر/ أحمد آل مجثل الغامدي، يانعة بأطايب الشعر ومزدانة بروائع القصائد، وما تزال واحاتُ شعره حدائقَ ذات بهجة.

عزيز نيسين.. وأهمية التدوين

لو خيّروك بين كتاب مطبوع طباعة فاخرة، وفيه إضافات مهمة بأوراق طبية، وبين كتاب مخطوط عمره أكثر من ألف عام، وهذا المخطوط مكتوب بخط المؤلف العلامة الشهير، أو بخط ذهبي، فإنك من المؤكد ستختار المخطوط.

لماذا لن تختار الطبعة الجديدة؟ رغم أنها فاخرة، وفيها إضافات كبيرة، وشروح وهوامش، وأوراقها طبية مناسبة للقراءة؟!

الجواب: لأن الكتاب المخطوط يكتسب أهميته كلما مضى عليه أكبر قدر من الزمن، فضلًا عن قيمته العلمية، يمثل هذا المخطوط تحفة نادرة، قد تُباع بالملايين.

ليس الكتاب وحدَه، فكل الأشياء تكتسب قيمتها بمرور الزمن، وهذه قاعدة. خذ هذا المثل البسيط لما نقول: لو ذهبت إلى سوبر ماركت، واشتريت موادَّ غذائية متنوعة، وملابسَ وخضارًا وفواكهَ، ودفعت الحساب، وأخذت الفاتورة، تجد أن 99% من الناس يرمونها في سلة المهملات.

طيب.. ماذا لو احتفظت أنت بهذه الفاتورة ووجدها أحفادك بعد 30 عام، أو بعد 50 عام، أو 100 عام، بالتأكيد ستعطي هذه الفاتورة فكرة عن الأسعار في تلك الفترة، وعن الحالة المادية لصاحبها، والأوضاع الاقتصادية في البلد بشكل عام من خلال الأسعار، إضافة إلى توجهات الناس الاستهلاكية، واهتماماتهم وحالتهم المعيشية، ونمط حياتهم و... إلخ.

ومن هنا ندرك أهمية التدوين والتوثيق ورصد الواقع، وتسجيل الأحداث والوقائع.. نحن اليوم ندرك الواقع جيّدًا، لكن ماذا عن الأجيال التي ستأتي بعد نصف قرن أو قرون؟ هل تنبش في الأرشيف الوثائقي وصفحات التواصل لقرن كامل لتدرك كيف الواقع أيامنا هذه؟ أم ستذهب للكتب مباشرة؟!

بالتأكيد ستذهب للكتب، فهي تحتوي الخلاصات، وستجد فيها بغيتك، وعن هذا الأمر يقول الكاتب التركي الراحل/ عزيز نيسين: «كل ليلة يجب أن أدوّن الأعمال التي سأقوم بها يوم الغد على ورقة، إذا لم تكن كل ليلة، فلتكن كل ليلتين أو ثلاث.

أكتب في أعلى الورقة أعمال الغد، وأضع خطًّا تحتها، وبما أن يدي مفتوحة، فتستطيع أن تقول بأنني مسرف من جهة، ومن جهة أخرى،

أتصرف بدقة، وتستطيع أن تقول إنني بخيل، وبما أنني هكذا، فأنا لم أتلف الأوراق المكتوب عليها أعمال الغد، وأجمعها على شكل قصاصات صغيرة، كما أنني أحتفظ بالأعمال التي سأقوم بها في شهر وسنة، وهكذا كنت أقوم بتخطيط يومي وشهري وسنوي على هذه القصاصات الصغيرة».

يضيف نيسين: «قديمًا كنت أمزّق هذه الأوراق وأرميها، ثم بدأت أنسى إتلافها وإلقاءها في سلّة المهملات، وبقيت مرمية في أحد الزوايا. وعندما وجدتها بعد سنين طويلة، رأيت فيها أشياء كثيرة جذبت انتباهي، وجدتها غريبة حقًّا، لقد حظيت عباراتها بأهمية كبيرة عندي، وصارت لها قيمة تاريخية وأثرية رائعة، وجدت في هذه الكتابات نفسي.

وهكذا بدأت أحتفظ بتلك الأوراق اليومية والشهرية والسنوية، لم أعد أرميها، بل أخذت أجمعها ضمن ملف خاص، وعندما أعود إليها بين حين وآخر، أجد في تلك الكتابات أيامي الماضية والقادمة، فهي وثائق تربط ماضيَّ بحاضري ومستقبلي، أنظر إلى "الأعمال التي سأنفذها غدًا" فلا أتذكّر، أكثرها أصبح منسيًّا، وبعض الأعمال التي لم تُنفذ أيضًا بقيت على حالها، كنت أتركها إلى الغد، ثم إلى ما بعد الغد، وهكذا عندما أفكر بها أحس بحزن شديد.

ستظل هذه الكتابات حاضرةً في ذهني، أحفظها للأيام المقبلة التي لن أكون فيها، الأيام المقبلة الخالية من وجودي، سأترك في هذه الأوراق المكتوبة ذكريات لحياتي. أصبحت مديونًا للغد وما بعد الغد وللأيام المقبلة الأخرى، ليس بسبب كسلي وإهمالي، بل من ثقل الأحمال التي فوق ظهري، وكثرة المسؤوليات والطلبات.

إنه دَينٌ لا ينتهي، سأشعر به دائمًا، فما معنى أن يظل الإنسان مدينًا للأيام المقبلة؟ في هذه الحالة، يكون مرغمًا على العيش، لكي يرد دينه الذي لا يُردّ أبدًا، وسيزداد أكثر.

في ذلك الصباح الذي لن أكون موجودًا فيه، سيجدون أوراقًا صغيرة، "الأعمال التي يجب أن أقوم بها" لم تُنفذ كلها، الشيء الباقي مني هو «أنا».. ملفات مليئة بالأوراق. أمامي الآن ملف بأعمال الغد، سأختار منه ورقة، وأقرؤها لكم:

"حلاقة.. فطور.. العناوين.. تنظيف طاولتي أو مكتبي.. سقاية الأزهار.. شراء دفتر طوابع لأحمد.. البريد.. جلب أكل للقطط.. كتب رفيق خالد.. أستلم نقودًا من كوفلو.. إعطاء قصة لمجلة أف بابا.. تصحيح رواية "زوبك" (عنوان واحدة من أجمل رواياته، تحوّلت إلى

مسلسل سوري لعب بطولته دريد لحام)، كتابة مسرحية من فصل واحد".

كل غد أراه قريبًا، لم أكن أعطي لهذه الأوراق أهمية، بحيث أنني لم أضع عليها تواريخ، فنحن لا نستطيع أن نعرف مسبقًا ونحن نعيش أي الأشياء التي تركناها تملك أهمية أو لا تمتلك. كل ورقة فيها عنوان أو ظرف أو ورقة ملاحظة أو حساب بقال تأخذ من القيمة والأهمية مع مرور الزمن»[1].

[1] انظر للتوسع في مذكرات عزيز نيسين: "وهكذا سرنا إلى القمة"، وهي الجزء الثاني من مذكراته، إذ حمل الجزء الأول عنوان: "هكذا أتينا إلى الحياة"، وهناك جزء ثالث بعنوان: "ذكريات من المنفى"، وجزء رابع لم أطّلع عليه بعنوان: "مرحبًا يا عمري السبعين".. لتحميل نسخة إلكترونية من المذكرات من موقع " فولة بوك " على هذا الرابط:

https://foulabook.com/ar/book/%D9%88%D9%87%D9%83%D8%B0%D8%A7-%D8%B3%D8%B1%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B9%D9%88%D8%AF-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A9-pdf

تناقضات عجيبة!

أديبة شهيرة.. ولكن!

في عمودها الأسبوعي بتلك الصحيفة اللندنية المعروفة، نشرت روائية عربية شهيرة مؤخرًا مقالًا عن التدخين، وكيف يُصاب المدخن بكورونا أكثر من غير المدخن، وأبدت إعجابها بقرار الشاعر الراحل نزار قباني التوقف عن التدخين، وقد كان يدخن سجائر "لاكي سترايك" الشهير حينها، وكيف اتكأ على ذلك السلاح البشري شبه المنسي الذي يُسمّى «الإرادة»..

تقول في مقالها: قال لي نزار: سأتوقف عن التدخين، وهذا كل ما في الأمر!!

وأنذرت زوجته صديقتي الحبيبة العراقية بلقيس الراوي، وقلت لها: نزار سيصير عصبيًّا لفترة، فلا تصطدمي معه! إذ سيتوقف عن التدخين، وكم أعجبني بنزار أنه بعد ثلاثة أسابيع من التوقف تمامًا عن التدخين، عاد إلى لطفه ودماثته، وتغلب على إدمان التدخين نهائيًّا!

وتضيف: قال الطبيب لزوجي: ستعيش عشرة أعوام أقل من (المكتوب)، إذا لم تكفّ عن التدخين، ولكنه لم يفعل، ورحل!

لقد فوجئت باعتراف هذه الأديبة "كنت أحمل سيجارة كنوع من التحدي الاجتماعي"!

ورغم أنها كانت تُعتبر من طلائع النساء الروائيات والمثقفات، في زمن كانت المرأة العربية المتعلمة عملة نادرة، ناهيك بالكاتبة والروائية، ومع هذا، فقد كانت لديها قناعة بأن تدخين المرأة للسجائر نوع من التحدي الاجتماعي، إذ كانت إعلانات الأصناف الفاخرة من السجائر تُنشر بجوارها عبارة "لذوي الرجولة"، ولذا كانت تعتبر التدخين نوعًا من تحدي المجتمع الذكوري!

وقد ذكرني حديث هذه الأديبة بما قرأته في كتاب "البروباجندا" لمؤلفه/ إدوارد بيرنيز، وهو مفكر يهودي، يعتبره كثيرون الأبَ الروحي لعلم العلاقات العامة، إذ أسس «بيرنيز» أسلوبه الخاص في التلاعب باللاوعي الخاص بالجماهير، ليكون القرار الذي تتخذه في النهاية قرارًا يصبّ في مصلحة الشركات الربحية الكبرى في العالم.

وعن أول تجربة للتلاعب بالرأي العام، يروي «بيرنيز» كيف سعى بذكاء لإقناع النساء بأن تدخين السجائر يعني لهن القوة وتحدي السيطرة الذكورية، ومن هنا خرج بفكرة ثورية أقنع بها النساء على التدخين في الأماكن العامة.

لقد أقنع «بيرنيز» مجموعة من النساء بالتدخين في أثناء موكب شهير سنوي يحضره الآلاف من المتفرجين في الولايات المتحدة، كما أخبر الصحفيين بأمر مجموعة من المتمردات ينوين التدخين في أثناء مشاركتهم في تلك المسيرة، كما علّق لافتة بين أيديهن تقول "السجائر مشاعل الحرية"، حينها كان أمام الجماهير مجموعة من المتمردات يشرن إلى أن تدخين المرأة في الأماكن العامة تحدٍّ للسيطرة الذكورية، وهو في حد ذاته فعل يدل على الحرية والاستقلالية.

«بيرنيز» بتلك التمثيلية كسر "التابو" أو استهجان تدخين المرأة في الأماكن العامة، وحوَّله إلى ظاهرة اجتماعية مقبولة، ليخدم مصالح شركات التبغ، ولم يكن ذلك مجرّد استعراض أمام الكاميرات، بل كان حقيقة أدت إلى ارتفاع نسبة مبيعات السجائر للنساء بشكل جنوني، فكان أمام الجماهير في تلك الحادثة مجموعة حقيقية تمثلهن، يدخنّ بالفعل في مكان عام، ومعهن عبارة عقلانية تحاول ربط كل تلك العناصر في لاوعي المشاهد بأن التدخين بالفعل يعني الحرية للمرأة والاستقلالية، وهو المبدأ الذي اقتنعت به الكثير من النساء حول العالم –للأسف–، دون إدراك منهن أنهن ضحايا لشركات إنتاج التبغ وصناعته، التي تسعى للكسب التجاري على حساب صحتهن وأموالهن!

والغريب والعجيب أن الكثير من النساء المثقفات كنّ يؤمنّ فعلًا بأن تدخينهن للسجائر نوعٌ من الحرّية وتحدي المجتمع الذكوري!!

داعية الانفتاح يغار على زوجته!

تقول زوجة الأديب الشهير/ يوسف إدريس، إنه بعد زواجه منها كان يكتب عن المرأة وتعليم المرأة، ولم تكن هي قد أكملت تعليمها بعد، فدرست الإعدادية والثانوية على مضض منه، ولما جاءت تريد الدراسة في الجامعة منعها خوفًا عليها من الاختلاط بالطلبة!

تقول: فقلت له:

. خلاص.. أنا سأسجل في الجامعة انتساب، وأدرس من المنزل، ومش ضروري أروح للجامعة.

ووافق على ذلك.. وتضيف «رجاء الرفاعي» زوجة «يوسف إدريس» لبرنامج "حكاية وطن" في قناة "النهار اليوم": وفعلا عملت انتساب، وخلصت دراستي بالجامعة من البيت.

وتضيف: "قد كان يغار عليّ بشدة، وهو ما جعل الصدام بيننا يحدث بشكل يومي ولسنوات"!

لقد كان يوسف إدريس من أنصار تعليم المرأة، ومن دعاة الاختلاط ومشاركة المرأة في الحياة السياسية والعامة، ولكن الأمر عندما وصل إلى زوجته غار عليها، ومنعها من الذهاب إلى الجامعة حتى لا تختلط بالطلبة!

وفي العام 2010 أكد الفنان المصري الشهير/ عادل إمام رفضه أن تعمل ابنته في الفن قائلًا: "ما أقدرش أشوف بنتي تتباس!"

وأكد «عادل إمام» في حوار لـ "المصري اليوم" أنه رجل تربّى على تقاليد الأحياء الشعبية في الحلمية (أحد الأحياء الشعبية الشهيرة في القاهرة)، و"أنا حرّ في رأيي، وما زلت متمسكًا به؛ لأن طبيعتي وثقافتي هي التي جعلتني أرفض احتراف ابنتي التمثيل، وأنا من الحلمية، وأساسًا من المنصورة، فهل سأكون سعيدًا عندما أشاهد ممثلًا يقبّل ابنتي، ثم أقول لها بعد انتهاء المشهد: "الله البوسة حلوة"؟!

وهكذا هم الكثير من دعاة الاختلاط وحقوق المرأة ومشاركتها في الحياة السياسية والحياة العامة، يجسدون في الواقع أسوأ تناقض بين الدعوات التي يطلقونها والأفكار التي يبثونها بين الناس، وبين الممارسات في الواقع، إذ يرفض الكثير منهم –مثلًا– أن تترشح زوجته أو ابنته لمجلس النواب أو للمجلس المحلي أو تختلط بالشباب، ويغار عليها، ولكنه في

الوقت نفسه يدعو النساء –من غير أسرته طبعًا– للمشاركة السياسية وللاختلاط، ويلعب دور المتنور والليبرالي المنفتح، ولكن عندما يصل الأمر إلى بيته وأسرته يتحول إلى متشدِّد جدًّا!

وقد كتبت من قبل عن أحدهم أعرفه جيدًا، وهو علماني حتى النخاع، طالب مرارًا بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء، وأن يكون لها ميراث مساوٍ لميراث الرجل، وقد بُح صوته في الندوات والفعاليات، وسوّد الكثير من الصفحات وهو يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، ويغمز ويلمز بشرع الله، وعندما طالبته أخته بأن يعطيها نصيبها من ميراث والدهم، أرغى وأزبد، وهدّد وتوعّد، وظل يصرخ كمن لدغه حنش، وسبها وشتمها، وقاطعها وتبرأ منها، رغم أنها طالبت بنصيبها الشرعي، نصف نصيبه وليس كاملًا كما يطالب هو به ويدعو إليه!!

ويبدو أنها لو طالبت بمساواته في الميراث بها، وأن يكون نصيبها مثل نصيبه، لأعلنها حربًا ضروسًا عليها كحرب داحس والغبراء!

وقد قال لها بصريح العبارة:

– أنتِ صدقت؟!

احنا نضحك على المغفلين، ونحانك المطاوعة، ونطلب الله مع المنظمات والسفارات، ما فيش عندنا ميراث للنسوان، ومستحيل نجيب أرضنا للغريب!!

كما رويت في مقال سابق لي قصة أكاديمي من هؤلاء العلمانيين، وكان دائمًا يردد ويقول: إعدام الزاني، أو قطع يد السارق عقوبات بشعة مقززة!!

ويهاجم الشريعة الإسلامية، ويتهكم على باب "حدّ الزاني" و"حدّ السارق" في الشريعة الإسلامية، ويدعو الفقهاء لإعادة النظر فيه، وذات يوم خرج من زوجته وأولاده للنزهة في إحدى الحدائق، وجلسوا فيها وتمشوا، وعادوا للمنزل مساءً فوجوا أن أحد اللصوص قد كسر النافذة وسرق كل المال وذهب الزوجة، وحينها كانت زوجته تصرخ، وكان يغلي من الغضب كأنه بركان، وأقسم بالله أنه لو وجد السارق لقطع يديه ورجليه وخزق عيونه، وفي اليوم الثاني ذهب إلى ندوة عن "الحدود في الشريعة الإسلامية"، وأعلن أنه تراجع عن كل أطروحاته السابقة عن الحدود الشرعية، وطالب بأن تُقطع يد السارق ورجليه أيضًا بعد أن تعرّض هو للسرقة! واعترف بأنه كان يقول ذلك الكلام بإيعاز من بعض المنظمات المشبوهة، ولتأثره ببعض أطروحات المستشرقين

الحاقدين على الإسلام، وآمن بعد أن وقع الفأس بالرأس بالحدود الشرعية وأهميتها للفرد وللمجتمع، لأنها سياج يصون أفراد المجتمع من العدوان على أعراضهم وأموالهم وأجسامهم وسائر حقوقهم!!

قصص من المفارقات والعجائب!

من المفارقات والغرائب أن الكثير من العلمانيين يتهمون الشريعة الإسلامية بأنها ظلمت المرأة حين أعطتها نصف الميراث، ولست هنا بصدد الرد عليهم والقول: بأن المرأة تذهب إلى رجل لديه ضعف ميراثها، وعليه هو النفقة على المنزل، وليس عليها أن تنفق من ميراثها شيئًا، ولكني أستغرب أن هؤلاء الذين يلمزون ويطعنون في شريعة الله يتناسون أن المرأة في "بلاد العرب أوطاني" لا تنال من ميراثها شيئًا إلا في القليل النادر!

فهؤلاء لو كانوا يسعون فعلًا لإنصاف المرأة ونيلها حقوقها، لطالبوا بأن تنال ميراثها الذي خصها الله به، وكثّر الله خيرهم، ولكن كل ما يهمهم في الأمر هو الطعن في شريعة الله ليس إلا!!

- **يطالب بميراث كامل للمرأة، ويحرم أخته من ميراثها!!**

وأعرف أحدهم.. علماني حتى النخاع يطالب بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء، وأن يكون لها ميراث مساوٍ لميراث الرجل، وقد بُح صوته في الندوات والفعاليات، وسوّد الكثير من الصفحات وهو يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، ويغمز ويلمز بشرع الله، وعندما طالبته أخته بأن يعطيها نصيبها من ميراث والدهم، أرغى وأزبد، وهدّد وتوعّد، وظل يصرخ كمن لدغه حنش، وسبها وشتمها، وقاطعها وتبرأ منها، رغم أنها طالبت بنصيبها الشرعي، نصف نصيبه وليس كاملًا كما يطالب هو به ويدعو إليه!!

ويبدو أنها لو طالبت بمساواته في الميراث بها، وأن يكون نصيبها مثل نصيبه، لأعلنها حربًا ضروسًا عليها كحرب داحس والغبراء!

وقد قال لها بصريح العبارة:

– أنت صدقتي؟!

احنا نضحك على المغفلين، ونحانك المطاوعة، ونطلب الله مع المنظمات والسفارات، ما فيش عندنا ميراث للنسوان، ومستحيل نجيب أرضنا للغريب!!

وهذا يذكرني بالقصة التي رواها القاضي محمد بن إسماعيل العمراني – رحمة الله تغشاه– عن خطيب أحد الجوامع في منطقة ثلاء بعمران، فعندما ظهرت مكبرات الصوت لأول مرة في المنطقة، قام هذا الخطيب يخطب عن الصدقة، فسمعته زوجته عبر الميكروفون وهي في البيت، فتأثرت وصدقته وعملت بحديثه، وعندما طرق عليها الباب أشخاص من المتسولين أعطتهم كل طعام الغداء، فلما عاد الخطيب وطالب بالغداء أخبرته أنها تصدقت به كما قال في الخطبة فصاح فيها:

– ما دخلك انتي! أنا أكلم أهل ثلاء! انتي ما دخلك؟!!

وهكذا فإن الكثير من هؤلاء العلمانيين يطالبون الناس بمساواة المرأة، وإذا قلت له:

– ما دمت تطالب بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء، خلاص اليوم هات زوجتك تجلس معنا برأس الديوان في المقيل، ونتحدث من باب المساواة.

فمن المؤكد أنها ستحدث معركة حامية الوطيس، وسيتضارب معك، وسيسيل الدم للركب!!

هو يريد مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، لكن المرأة التي يطالب بمساواتها بالرجل ليست زوجته، ولكن زوجات الآخرين، أما هو فإنه كخطيب جامع ثلاء.. ما دخل زوجته بالموضوع؟!

والمرأة التي يطالب بمساواتها بالرجل ليست أخته إذا طالبت بميراثها منه، فأخته ما دخلها بالموضوع؟!

- **علماني يطالب بقطع يد السارق ورجليه!**

وأعرف باحثًا من هؤلاء العلمانيين كان دائمًا يقول: إعدام الزاني، أو قطع يد السارق عقوبات بشعة مقززة!!

ويهاجم الشريعة الإسلامية، ويتهكم على باب "حدّ الزاني" و"حدّ السارق" في الشريعة الإسلامية، ويدعو الفقهاء لإعادة النظر فيه، وذات يوم خرج من زوجته وأولاده للنزهة في إحدى الحدائق، وجلسوا فيها وتمشوا، وعادوا للمنزل مساءً فوجدوا أن أحد اللصوص قد كسر

النافذة وسرق كل المال وذهب الزوجة، وحينها كانت زوجته تصرخ، وكان يغلي من الغضب كأنه بركان، وأقسم بالله أنه لو وجد السارق لقطع يديه ورجليه وخزق عيونه، وفي اليوم الثاني ذهب إلى ندوة عن "الحدود في الشريعة الإسلامية"، وأعلن أنه تراجع عن كل أطروحاته السابقة عن الحدود الشرعية، وطالب بأن تُقطع يد السارق ورجليه أيضًا بعد أن تعرّض هو للسرقة! واعترف بأنه كان يقول ذلك الكلام بإيعاز من بعض المنظمات المشبوهة، ولتأثره ببعض أطروحات المستشرقين الحاقدين على الإسلام، وآمن بعد أن وقع الفأس بالرأس بالحدود الشرعية وأهميتها للفرد وللمجتمع، لأنها سياج يصون أفراد المجتمع من العدوان على أعراضهم وأموالهم وأجسامهم وسائر حقوقهم!!

- **بعض تناقضات العلمانيين**

وللأسف الكثير من العلمانيين واليساريين والليبراليين يعيشون في تناقض عجيب، وانفصام غريب، وبعضهم مثل ذلك الشخص الذي استقل القطار، فوجد رجلًا ملتحيًا، وزوجته محجبة، فقام يتهمه بالرجعية والتخلف والإرهاب وبشتى الاتهامات، ولكن الرجل الملتحي أخرج من

جيبه الصليب، وأخبره أنه مسيحي وزوجته مسيحية مؤمنة، وتزور الكنيسة دائمًا، فقام يعتذر لهم ويردد:

– كنت أظنكم من المسلمين!!

فالعلماني يحترم كل الأديان إلا الإسلام، ويحترم كل الثياب إلا الحجاب –للمسلمات فقط–، أما المسيحيات، فالحجاب لا يزيدهن إلا وقارًا وحشمة!!

والعلماني مع حرية الرأي والتعبير للجميع إلا للمتدينين من المسلمين، فهم لا حق لهم ولا تعبير ولا إنشاء!!

والعلماني يحترم التخصصات، لكنه وهو المهندس أو مدرس الرياضيات يفتي في الشريعة الإسلامية، ويحلّل ويحرّم، ويقول فيها أقوالًا بلا دليل ولا علم، ومع هذا فهو يحترم التخصصات!!

والعلماني يشكك في السنة النبوية، لكنه مؤمن بكل حرف كتبه أرسطو أو سارتر أو كونفوشيوس أو كارل ماركس!!

وكم من تناقضات وعجائب وغرائب وقصص تُضحِك وتُبكِي!!

تأمـــلات

من عجائب الأقدار!

يـروي الـرئيس البوسـني الراحـل/ علـي عـزت بيجـوفيتش –رحمـة الله تغشـاه– في مذكراتـه "سـيرة ذاتيـة وأسـئلة لا مفـر منهـا" قصـة عجيبـة، يقول:

«لا يعرف المرء ما ينفعه وما يضره في الحياة. فلو لم يتم سجني في العام 1946م، وهـو مـا اعتبرناه أنا وعـائلتي أمرًا كارثيًّا، لكنـت حتمًا قُتلت خلال عام 1949م كما قُتل المرحوم «خالد كايتاز»، الذي تولى منصبي في منظمة "الشبان المسلمين" بعد اعتقالي، فلقد حكم عليه الشيوعيون بالإعدام رميًا بالرصاص في تشرين الأول أكتوبر من 1949م. وهكـذا أنقذ السجن حياتي.

ومن ثم كان هناك النفي إلى الحدود الهنغارية "المجر"، فلقد أرادوا معاقبتي بأن أرسـلوني إلى مكـان يبعـد 400 كيلـومتر عـن عـائلتي، ولم يعرفـوا أن ذلك سيكون من مصلحتي.

لقد كانت مزرعة كبيرة ومليئة بالطعام، فلقد كانت هناك أكوام البطاطا في كل مكان، كنا –نحن السجناء– نشويها ونأكلها.

لقد عملت هناك حطّابًا، وأصبحت ماهرًا في تلك المهنة، بحيث إنني استفدت منها بعد ذلك في كسب الرزق كلما اضطررت لذلك، ولقد أصبحت أعمل في الأحراش، وهي من أكثر الوظائف والأعمال الكبيرة التي عملت بها، وراقت لي ومن دونها كلها.

ولقد أمضيت شتاء 1948 – 1949م كله في التحطيب وقطع الأخشاب. فلقد كنا نقطع الخشب لاستخدامه وقودًا، وكان يجب أن يتم قطعها بالمنشار اليدوي ليصبح طول كل قطعة مترًا واحدًا مقصوصة ومكدسة.

ولقد كان هناك نسبة يومية يجب إنجازها. كان الطعام هنا متوفرًا بكثرة، على عكس فترة احتجازي في ثكنات المارشال تيتو في سراييفو، حيث كنت أتعرض للتعذيب بإبقائي جائعًا جدًّا معظم الأوقات، وبما أن الطعام متوفر، فقد كنا نوقد ونشوي البطاطا. كذا كانت مدة الستة الشهور الأخيرة من فترة سجني مدة مريحة، على عكس ما أراده رجال الشرطة السرية من الشيوعيين.

وعندما أنهيت مدة سجني، أصبح عمري 24 عامًا، وعادت إليّ عافيتي وصحتي، وبكى أهلي من الفرح عندما رأوا أنني على ما يرام. وفعلًا:

لقد كان العبد في التفكير، والله في التدبير. فلقد قضى الله بأمر على عكس ما أراده رجال الشرطة السرية».

وفي كتاب "يُحكى أنّ" للإعلامي الشهير/ أسعد طه، الذي غطّى حرب البوسنة، وأجرى مع «بيجوفيتش» لقاءات عديدة، يورد «طه» هذه القصة العجيبة، يقول علي عزت بيجوفيتش: «سمعت من «أدهم كيتشاشتيتش» أول رئيس للحكومة في البوسنة والهرسك بعد استقلالها عن يوغسلافيا قصة عجيبة، لها دلالات عميقة، يقول: بعد اعتقالي عام ١٩٨٢م، وخلال التحقيقات التي كانت تجريها وكالة الأمن القومي في السجن المركزي، سألني المحقق:

– أنتم تتظاهرون بالحديث عن الإسلام، لكننا نعرف أنكم تخططون لتشكيل دولة بوسنية مستقلة يترأسها «علي عزت بيجوفيتش»، ويشكل «عمر» المجلس التنفيذي، وأنت كمهندس ستشغل منصب وزير الطاقة، فمتى شكلتم تلك الحكومة؟!

واصل «أدهم كيتشاشتيتش» حديثه قائلًا:

– لقد استغربت الأمر تمامًا، فنحن لم نتطرق من قريب أو بعيد إلى هذا الأمر، وعندما أصدرت المحكمة قرارها وزُجّ بنا في السجن، وعندما

كانت الظروف تسمح لنا بأن نلتقي، كنا دومًا نتذكر هذه الحادثة، وتنتابنا موجة من الضحك مما وصلت إليه تخيلات وكالة الأمن القومي في ذلك الوقت، والتي كانت أبعد ما يكون عن تفكيرنا».

يقول أسعد طه في كتابه: «علي عزت بيغوفيتش نفسه قال لأخته «خيرية» عندما اعتُقل للمرة الثالثة تلك التي يتحدث عنها زميله «أدهم» –وكما ذكرت لي أخته في لقاء جمعنا– أنه كان قد قارب الستين عامًا، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمده 14 عامًا، ولذا فلا أمل في خروجه حيًّا، بل وبحسب رفاق له، أنه كان عصبيًّا في أول فترة اعتقاله، معتبرًا أنه حيل بينه وبين مشروعه، وأن الوقت في المعتقل يذهب هدرًا بعد أن حُكم عليه عمليًّا بالسجن مدى الحياة».

لكن أقدار الله جعلت الحياة لا تمضي دونه، فقد سقط كل من حاكموه ورفاقه، وأُفرج عنه، وأسّس حزبًا (حزب العمل الديمقراطي)، وخاض الانتخابات، إذ كان يأمل خلالها في الفوز بمقعدين في البرلمان يعبّران عن توجهات هذا التيار من المسلمين في البوسنة، لكنه نجح بأغلبية هو ورفاقه، وهي مفاجأة.. هم أنفسهم لم يفهموها، وأصبح رئيسًا للجمهورية، وبات «أدهم» رئيسًا للوزراء وشكّل حكومته.. لقد تحققت

ادعاءات رجال الأمن القومي، وذلك كله في وقت وجيز.. فسبحان الله!!

يعلق «أسعد طه» على هذه القصة بخلاصة رائعة، يقول: تكمن المشكلة في أننا لا نعرف سرّ المكتوب لنا، نجهله؛ لذلك نكون شديدي العصبية، فائقي التوتر، ففي لحظة نشعر أن الدنيا قد انتهت بالنسبة لنا، وأغلقت أبوابها أمامنا، وفي لحظة أخرى نشعر أن الدنيا فُتحت علينا، وفتحت أمامنا الأبواب المغلقة.. والحقيقة أنه لا أحد يعلم ماذا تحمل لنا اللحظة التالية، وهو ما يحتم علينا أن نسير وراء خططنا الخاصة بدون يأس، نبذل الأسباب ما استطعنا، ولو نحفر الأرض بإبرة ونمضي.

فتأمّل!

مذكرات "القرضاوي".. وأهمية العلم الشرعي

شاهدت "مراجعات" العلامة الراحل الدكتور/ يوسف القرضاوي –رحمة الله تغشاه–، 30 حلقة بثتها قناة "الحوار" تحت عنوان: "مراجعات"، حاوره فيها الدكتور عزام التميمي، وتناولت مختلف مراحل حياة العلامة القرضاوي منذ مطلع حياته في قريته "صفط تراب" في محافظة الغربية، حتى السنوات الأخيرة من حياته بعد أن استقر في قطر.

شملت هذه الحلقات الحديث عن طفولته ووالده ووالدته وأقاربه وتعليمه في "الكتاب" بضمّ الكاف، ثم دراسته في معهد طنطا العلمي الأزهري، حتى تخرجه من الأزهر وما مرّ به من أحداث، وتعرفه على مؤسس حركة الإخوان المسلمون الشيخ حسن البنا، وما مرت به الإخوان من صدام مع السلطات الناصرية وأحداث السجن، وغيرها من الأنشطة والأحداث والفعاليات، ومعرفته بعدد كبير من الشخصيات من مختلف التوجهات، وعمله في الأزهر، ثم انتقاله إلى قطر، وعمله في المعهد الديني في الدوحة، ثم كلية الشريعة بجامعة قطر بعد ذلك، وانفتاح الآفاق له ليطوف العالم ويلتقي بالعلماء والزعماء والملوك، ويكون صانعًا للأحداث، وشاهدًا على أحداث، وفي اللقاءات أحاديث تُقال لأول

مرة، وأسرار يفشيها، والكثير من المعلومات والرؤى، في طرح شائق، وأسئلة صريحة، وإجابات أكثر صراحة، وفيها من الدروس والعبر والقصص الشائقة والطرائف والنوادر والنصائح القيمة.

قد تختلف مع القرضاوي أو تتفق فهذا خيارك، ولكنَّ هناك شيئًا أود قوله هنا، وهو: كيف أمكن لهذا الفتى الذي قدِم من قريته التي تقع في أقصى الريف المصري أن يصنع كل تلك الأحداث، ويقدّم كل تلك الجهود، ويؤثّر هذا التأثير الكبير في العالم الإسلامي؟!

والإجابة هي: العلم الشرعي، هذا العلم يرفع الله به أقوامًا من الثرى إلى الثريّا، يرفعهم درجات، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ».

بهذا العلم ساد الكثير من الناس، وصاروا نجومًا يُهتدى بهم، يجالسون الملوك، ويتحدثون مع الزعماء، وتسير خلفهم الأمة، ساد الكثير من الناس بالعلم، وقد كانوا مجرد أرقام في تعداد الخلق، لا مكانة لهم، فصاروا بالعلم نجومًا في السماء يهتدي بهم الناس.

وهذا العلم يجعل من العالِم ولو كان أسود البشرة من العجم، ممن لا يُعرف له أصل، محطَّ أنظار الناس، ومقصدَ طلّاب العلم من كل فجٍّ

عميق، وله في القلوب محبة، وفي النفوس مهابة، وفي الدنيا مكانة، وعند الله منزلة عظيمة، وكل هذا بفضل العلم الشرعي وبركته.

إن الواقع يؤكد أن المُلك يفنى، والعلم يبقى.

ومن أمثلة ذلك أن العالم الموسوعي/ ابن خلدون، لو وُلي الحكم في أثناء سنوات طموحه السياسي، واستتبّ له الأمر، فلن يزيد عن كونه حاكمًا يُذكر في بعض كتب التاريخ بسطر أو سطرين، لكنه حين اتّجه إلى العلم، وأضاف فيه إضافات نوعية، مثل كتابه "المقدمة" الذي أرسى به أُسُس علم الاجتماع "العمران" دخل عالم الخلود من أوسع أبوابه.

وفي العلوم الشرعية وغيرها من العلوم بما في ذلك العلوم المادية، لا يُكتب الخلود والانتشار إلا لمن يضيف الجديد، وليس شرطًا أن تكون الإضافة عملًا كبيرًا كمقدمة ابن خلدون، وإنما قد تكون الإضافة صغيرة مختصرة ونافعة، والمثال في العلوم الشرعية على ذلك "متن الآجرومية" في قواعد اللغة لابن آجروم، أو "تحفة الأطفال" في التجويد للشيخ سليمان الجمزوري في التجويد، وغيرها، فتأمّل.

ولو أن القرضاوي لم يطلب العلم الشرعي، وظلّ في قريته تلك، لعاش مثل أي فرد في القرية، عمل وتزوج، ثم خلّف ثم مات، ولم يعلم به أحد!

والمال يذهب ويفنى، والغني الثري يفتقر، والمناصب تزول، فهي دول تدول بين الناس، والجاه يذهب، فكم من أُسَر كانت لها الأمجاد والصيت البعيد والثراء العريض، ثم صارت نسيًا منسيًّا، وبقي العلم وأهله، وبقيت للعالِم مكانته بين الناس طيلة حياته وبعد موته، بل ويبقى ذكره طوال الدهر، ويبقى علمه الذي تركه للناس صدقة جارية له بعد موته، تصله إلى قبره سيولًا من الأجر والثواب، نهرًا متدفقًا من العطاء الدائم، ويظلّ الناس يترحمون عليه، ويدعون له في كل زمان ومكان، وكم من عالِم قد وافاه الأجل قبل قرون عديدة، ولكنه ما يزال حيًّا إلى يوم الناس هذا بعلمه، يذكرونه بالثناء الحسن في كل وقت وحين، ويترحمون عليه، ويدعون له، ويناقشون اجتهاداته، ويتحدثون عن اختياراته، ويكتبون عن جهوده، ويسترشدون بفتاواه، ويعملون بأقواله، يؤلفون عنه المؤلفات، ويكتبون عنه الدراسات والمصنفات ورسائل الماجستير والدكتوراه والأبحاث والدراسات والمقالات.

ومن بركات العلم الشرعي وثماره، أنه لا يرفع صاحبه فحسب، بل يرفع المنطقة التي ينتمي إليها هذا العالِم أيضًا، فمثلًا لولا شهرة شيخ الإسلام العلامة/ محمد بن علي الشوكاني، وصيته الذي طبق الآفاق، لما عرف الناس هجرة شوكان التي ينتمي إليها، وهي قرية من قرى عزلة جبل اللوز بمديرية الطيال التابعة لمحافظة صنعاء، تبعد عن العاصمة صنعاء

نحو 20 كيلو، ولولا الإمام الترمذي لما عرف الناس ترمذ، وهي اليوم مدينة صغيرة شرق أوزبكستان، ولولا الإمام النسائي لما عرف الناس منطقة نسا، وهي اليوم مدينة صغيرة في جنوبي عشق أباد عاصمة تركمنستان، ولولا العلامة الزمخشري لما عرف الناس زمخشر، وهي قرية من قرى خوارزم في تركمنستان، وهكذا.. فقد تكون المنطقة مهملة لا يعرفها الناس، حتى يبزغ منها عالِم ويشتهر، فيكون سببًا في شهرتها، ولولاه لما عرفها عموم الناس، فتأمّل.

ذهب "أنور خوجة".. وبقي الإسلام!

«سجُنت لمدة 20 عامًا لأني قلت: بسم الله الرحمن الرحيم»!

لو حدّثك اليوم رجل لا تعرفه بأنه قد تعرض للسجن لمدة 20 عامًا لأنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فسوف تنظر له باستغراب، وربما تتهمه بالجنون!

وسوف تتساءل:

. هل هناك دولة في العالم تحبس إنسانًا لعقدين من الزمن لقوله البسملة؟!

صدقوا أو لا تصدقوا أن دولة مسلمة قتل رئيسها أكثر من 100 ألف إنسان من المسلمين في السجون، وألغى كل الأديان وخصوصًا الإسلام، كما هدم كل المساجد وحوّلها إلى مزابل وحظائر للحيوانات، باستثناء جامع واحد في العاصمة، ليكون شاهدًا على ما أسماه "زمن الرجعية"!

لقد أعلن هذا الديكتاتور أن دولته المسلمة قد صارت الدولة الملحدة الوحيدة في العالم، وعمل على طمس الهوية الإسلامية بشكل تام

وممنهَج؛ حتى إنه غيّر أسماء الناس إلى أسماء غير إسلامية، ومن يرفض تغيير اسمه، يُحبس لعشر سنوات!!

ولم يكتف بهذا، بل ضرب ودمّر كل الكفاءات الفكرية والعلمية في البلد، وحارب وقتل العقول النيرة والعلماء وخيرة المثقفين، وحوّل بلاده إلى سجن كبير مُظلم معزول عن العالم!

- "أنور خوجة».. ديكتاتور ألبانيا

أنور خوجة (1908 – 1985) الزعيم الشيوعي الألباني فعل كل هذه الأفعال البشعة التي لا يكاد يصدقها عقل خلال فترة حكمه التي امتدت بين عامي 1945 – 1985، حتى إنه سجن مفتي ألبانيا «حافظ صبري كوتشي» (1921م – 2004م) لمدة تزيد عن 20 عامًا، يروي الصحفي أسعد طه، الذي زار ألبانيا في مطلع التسعينيات بعد سقوط الشيوعية قصصًا في كتابه "يُحكى أنّ" لا يكاد يصدقها عقل، يرويها عن علماء وشخصيات من المسلمين الألبان، فهذا الرجل السبعيني اعتُقِل متلبسًا بكونه يصلي، وظلّ في المعتقل وتحت التعذيب لعقود من الزمان، وهذا اعتُقِل لأن المخابرات اكتشفت في بيته أحد

المصاحف، وآخر سجنوه لـ 20 عامًا لأنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولذا قام الأهالي حينها بوضع المصاحف والكتب الدينية في الجدران، وبنوا عليها حتى لا يكتشفها أحد!

كما كانت المخابرات الألبانية تتعقب في فترات السحور برمضان كل البيوت التي تضيء أنوارها؛ فتصعد إليها للقبض على سكانها بتهمة تناول وجبة السحور بغرض الصيام؛ مما دفع مسلمي البلاد ممن حافظوا على هويتهم إلى تناول سحورهم في ظلام دامس، حتى لا يُكشف أمرهم ويُزج بهم في السجون!

يقول أسعد طه: «كنت أول صحفي وصل ألبانيا مطلع التسعينيات، ولأنني أجنبي ومسلم، فقد تحلّقوا حولي يروون لي الكثير من القصص المؤلمة عن سجنهم وتعذيبهم، وعندما أخبرني أحدهم أنه سُجن لمدة أربعين عامًا عزلته عن البقية، فقد عثرت على كنز صحفي فقد رغبت في التسجيل معه في حلقة "يُحكى أنّ" التي كانت تبثها "الجزيرة" حينها، لكنهم عندما علموا بمرادي ضحكوا عليّ، وأخبروني أن أغلبهم سُجنوا من 20 إلى 40 سنة!»

يقول رئيس جمعية السجناء والمضطهدين في ألبانيا «زنغل درانغو» في حديث لقناة "العربي": «حكموا عليّ في زمن الشيوعية بالسجن لمدة

عشرين عامًا بتهمة خيانة الوطن، وذلك حين قبضوا عليّ وأنا أحاول الهرب من ألبانيا باتجاه يوغسلافيا، سعيًا منّي لمستقبل أفضل، في البداية كان الحكم 20 عامًا سجنًا، لكنهم حوّلوه فيما بعد إلى سجن وأشغال شاقّة أيضًا في المناجم التي يصل عمقها لمئات الأمتار تحت الأرض».

يضيف: «كان لزامًا على كل شخص أن يملأ سبع قاطرات من الفحم يوميًّا، والسجين الذي لا ينجز عمله اليومي كان مصيره السجن بزنزانة انفرادية عقوبة له، أصعب شيء على السجناء في تلك الأيام كان قرار تمديد عقوبة السجن، فالكثير من السجناء بسبب تمديد العقوبة كانوا يلقون بأنفسهم على الأسوار الشائكة، وكان معروفًا أنّ من يقترب من تلك الأسوار يطلق عليه حراس السجن الرصاص».

يواصل حديثه: «كانوا يأتون في وسط الليل فجأة، ويقتادون عائلات كاملة إلى مراكز احتجاز منعزلة بعيدة، تلك كانت من وسائل الضغط على المعارضين الهاربين حتى يسلّموا أنفسهم، وقد بلغت قسوتهم الذروة في معاملتهم للعوائل المحتجزة، إذ كان هناك أطفال صغار يموتون من البرد وقلة الطعام في تلك المعتقلات، وكان الحراس يرمون بجثث الأطفال أمام أعين أهاليهم إلى الخنازير طعامًا لها!».

- **أكثر من 750 ألف ملجأ محصّن!**

هذا الطاغية لم يكن بشرًا سويًّا، فقد تملكه الجنون، ولذا فقد اختلف مع كل حلفائه، مثل: «تيتو» في يوغسلافيا، ثم اختلف بعدها مع الروس، ثم مع الصينيين الذين دعموه، ثم تخيّل أن العالم كله سيشن الحرب الإمبريالية ضد ألبانيا، فقام بعزلها وقطع علاقاتها مع كل دول العالم، ثم استعد للحرب الكونية ضده، فأمر ببناء 750 ألف ملجأ ومخبأ دفاعي محصن "دشم عسكرية" في جميع أرجاء البلاد التي تبلغ مساحتها 28 ألف و700 كيلومتر مربع، وهذا يعني أنه تم في المتوسط تشييد 24 ملجأ في كل كيلومتر مربع، وأن كل 4 مواطنين قد خصص لهم ملجأ! وقد صارت هذه الدشم من أبرز معالم ألبانيا اليوم!

ثم أقام ملجأ سريًّا ضخمًا خاصًّا به وبكبار مسؤولي البلاد داخل جبل قرب العاصمة تيرانا، انتهى العمل به في عام 1978م.

احتوى هذا الملجأ، المخصص لحرب نووية، على 5 طوابق، ونفق بطول 3 كيلومترات، مزود بـ 106 حجرات، ومركز للاتصالات، ومخازن للذخيرة وللمواد الغذائية وللمياه، وقاعات للاجتماعات، وبصالة للحفلات الموسيقية بمساحة إجمالية تبلغ 2685 مترًا مربعًا.

- **جنون في كل اتجاه!**

ولم يقف جنون «أنور خوجة» على الشعب ومن يشك فيه، بل لقد وصل جنونه إلى قيادات من الحزب الشيوعي، إذ قام بتزويج امرأة تدعى "ليري بلشوفا " كانت في اللجنة المركزية بقيادة الحزب الشيوعي، حين علم بمقتل خطيبها فقال لها:

. يجب عليك الزواج من "ماجو تشومن" القيادي في الحزب الشيوعي، وهو وزير الزراعة حينها، وهو الآخر قال له:

. عليك الزواج بها!

وتم إجبارهما على الزواج، وأنجبوا أطفالًا، وبعد سنوات كانت المفاجأة حين قرر «أنور خوجة» أن الزوجة خائنة للوطن، فأمر الزوج بأن يطلّقها.

أجابه الزوج:

.كيف تقول لي أطلّقها وأنت الذي أجبرتني على الزواج منها؟ ولأنه رد على الزعيم فقد عوقب الزوج بالسجن سبع سنوات، ومن ثَم مددت العقوبة لعشر سنوات أخرى لرفضه الطلاق من تلك المرأة!

نهاية "أنور خوجة" المخزية!

أُصيب «خوجة» بنوبة قلبية عام 1973، وأصبحت صحته تسوء على نحو متزايد في أواخر السبعينيات، وأصبحت معظم وظائف الدولة على مساعده «رامز علياء»، كما أن «خوجة» كان مصابًا بالسكري والشلل الرعاش وأمراض القلب، وأصبح في أواخر أيامه مقعدًا على كرسي متحرك بسبب كبره في السن والأمراض الكثيرة، وعلى الرغم من كل المحاولات لتحسين صحته، فإنه تُوفي في صباح يوم 11 أبريل 1985م.

وفي 20 فبراير 1991م اندلعت مظاهرات حاشدة في شوارع تيرانا العاصمة، وأُسْقِطَ تمثال الديكتاتور «أنور خوجة»، وأُجريت بعدها انتخابات رئاسية، وسُمح بإعادة ممارسة الشعائر الدينية، وفتح المساجد ومدارس القرآن الكريم، وصارت حقبة «أنور خوجة» رمزًا للظلم والظلام، والعزلة والقتل والاستبداد الذي رحل بعد أن رحل مهندسه، وبقي الإسلام، وإن كانت أجيالٌ من الألبانيين قد جهلت الكثير من تعاليم دينها، لكن الإسلام بقي حيًّا في القلوب والوجدان.

لقد تعرض المسلمون في الكثير من بلدان العالم إلى عملية طمس ممنهجة لهويتهم، وإلى مآسٍ يشيب لهولها الوِلدان، ومع ذلك فإن الإعلام العالمي لا يذكر الإسلام وأهله إلا مقرونًا بالإرهاب والعنف، رغم أنهم ضحايا للشيوعية والرأسمالية والعلمانية والاستبداد والظلم!

سجدة العلامة/ الشعراوي في نكبة 1967م!

عندما علم الداعية الشيخ/ محمد متولي الشعراوي –رحمه الله– بهزيمة القوات المصرية والعربية في نكسة حزيران 1967م سجد لله شكرًا.. وقد أثارت تلك السجدة صدمة كبيرة للمصريين ولكل من علم بها، لكن الشيخ الشعراوي –كما وضّح بعد ذلك– لم يفرح بهزيمة وطنه وأمته واحتلال إسرائيل لغزة وسيناء والجولان –وحاشاه ذلك–، ولكنه كان ينظر نظرة بعيدة، ويرى مآلات الأمور، وقد فرح بهزيمة المنظومة الحاكمة حينها، والقائمة على الشيوعية، فلو انتصرت مصر بالمنظومة الشيوعية، لفقد الناس ثقتهم في الإسلام، ولآمنوا بالشيوعية ونظروا لـ«عبد الناصر» كأنه نبي أو قديس، لقد أراد الشيخ الشعراوي أن تكون تلك النكسة صدمة تدفع المنظومات الحاكمة لمراجعة مواقفها، وتصحيح مسارها، والتخلي عن القيم الفاسدة، والعودة للإسلام، وهو ما حدث بعد 6 سنوات من تلك النكسة في 1973م، إذ انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل تحت راية الإسلام، وقد سجد الشيخ الشعراوي مرة أخرى شكرًا، لانتصار العرب تحت راية الإسلام.

لقد أثارت تلك السجدة الجدل، وجاءت كهدية للحاقدين على الشيخ والناقمين عليه، لكن عموم الناس فهموا موقفه، واستوعبوا مقصده.

ولا تزال تلك "السجدة" والموقف يعود للجدل بين حين وآخر بمصر، وهذا ما دفع حفيده للتوضيح بالقول: «جدي كان يسجد لله في السراء والضراء»، وما يزال البعض من العلمانيين والشيوعيين يهاجمونه إلى اليوم، وهذا لأن شعبية الشيخ الشعراوي بمصر طاغية ومؤثّرة إلى اليوم، ولقد عشت في مصر سنوات، ورأيت الناس يجلون الشعراوي ويقدرونه ويسمعون خواطره، ويضعون صورًا له في منازلهم ومكاتبهم –رحمه الله–.

اليوم دولنا وحكوماتنا ونخبنا ومؤسساتنا ونحن على الصعيد الشخصي.. كم نتعرض لانكسارات وإخفاقات وعثرات! ومع هذا نمضي في نفس المسار، ونسير في نفس الاتجاه، وكأن شيئًا لم يكن!

مع كل ما يحدث لنا، فلا نقف مع أنفسنا وقفة مراجعة، ولا نراجع منطلقاتنا، ولا نصحح مسارنا، ولا نتفكر، ولا نتأمل حالنا، كحال ذلك الذي يمشي في طريق وعر، فيقع في الحفر، ويتعثر بما فيها من أحجار وكمائن ومطبات، ثم يواصل المشي فيها دون أن يرفع رأسه لينظر إلى مساره، ويراجع نفسه، ويصحح مساره الخاطئ!!

ما يحدث لنا من عثرات وانكسارات في حياتنا هي أقدار كتبها الله لنا، لحكمة كبيرة، وليس الأمر عبثًا، يريدنا الله أن نتفكر ونتأمل في هذه الرسائل الإلهية، ونراجع مواقفنا، ونصحح مسارنا، ونعود من المسار الخاطئ، إن كنا نسير فيه إلى المسار السوي قال تعالى: «أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» سورة الملك الآية (22).

وهنا يضرب الله الأمثال للناس لتوضيح مدى الفرق بين المشي السوي في الحياة، وبين المسار الخاطئ، فالذي يمشي بشكل سويٍّ وفي طريق مستقيم، غير الذي يمشي "مكبًّا على وجهه" يقع في الحفر والعثرات، وقد يتردَّى دون أن يرفع رأسه ليرى طريقه، والرؤية هنا ليست رؤيا العين فقط، وإنما هي الرؤية بمعناها الأشمل والأعم، وهي رؤية النظر والتفكير والتأمل والمراجعة والتصحيح، الذي يثمر المشي السوي على الطريق الصحيح، وهذا أمر.

والأمر الآخر أننا لكي نمتلك أدوات النظرة البعيدة، والتفكير الإستراتيجي وأسس المراجعة الصحيحة، وأساليب التصحيح المطلوب في الحياة، فلا بد من العودة لتدبّر القرآن وتأمّله، فتدبّر القرآن وقراءته قراءة تأمّل وتدبّر تُكسِبنا ملكة التفكير الإستراتيجي، وتجعلنا ننظر

للكون ولكل أقدار الله في الحياة بنظرة مختلفة، نظرة جديدة، وبأبعاد مختلفة، لأننا قد ارتوينا من النبع الإلهي الصحيح، الذي يمنحنا إشراقات ربانية، ويفتح لنا آفاقًا حياتية جديدة، فالقرآن نور، ومن بقلبه وبعينيه وبوجهه نور إلهي من قبس القرآن، فلا يضل ولا يشقى، ولا تُغلق أمامه الأبواب، ولا تُسد في وجهه الطرق.

الأمر الثالث والأخير.. فلكي نفهم القرآن ونتأمله كما يجب، ونتدبر فيه كما ينبغي، فلا بد من الإلمام باللغة العربية واستيعاب قواعدها وعلومها، من نحو وصرف، وبيان وبديع، وغيرها، ففي اللغة العربية مفاتيح فهم القرآن.

يقول الإمام الشاطبي –رحمه الله–: القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [12]، ويقول تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ).

وقال تعالى: (لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) [14]، ويقول تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان

العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة.

ويضيف الإمام الشاطبي: ولا أعني بذلك تعلّم النحو وحدَه، ولا التصريف وحدَه، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان، ألفاظ أو معانٍ، كيف تصورت، ما عدا الغريب، والتصريف المسمى بالفعل، وما يتعلق بالشعر من حيث هو الشعر كالعروض والقافية، فإن هذا غير مفتقَر إليه هنا.

وفّقنا الله لتعلم علوم العربية، ولتدبر القرآن وتأمله وفهمه، والمشي السوي في طريق الحياة الذي يوصلنا رضا الله وجنته.

المؤرخ "إبراهيم شبوح".. وقراءة جديدة للتراث

المؤرخ التونسي الكبير الدكتور/ إبراهيم شبوح، من العلماء العرب الذين بذلوا جهودًا كبيرة في إخراج التراث العربي والإسلامي إلى النور، بأجمل صورة، وأزهى حلة، إذ أفنى عقودًا من عمره في الكشف عن كنوز هذا التراث وجواهره وإخراجها إلى النور.

أمضى الدكتور «شبوح» أكثر من ثلاثة عقود في نشر تراث العلامة المؤرخ اليماني/ عبد الرحمن ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع وتحقيقه، حتى استطاع أن ينشر "المقدمة" الشهيرة في ثلاثة أجزاء من نسخ أصلية كُتبت بخط «ابن خلدون» بعد نشر المقدمة وفيها الكثير من الأخطاء والتحريفات، وكانت النسخة الأقرب للصواب هي النسخة التي نشرها الدكتور/ علي عبد الواحد وافي، كما قام الدكتور/ إبراهيم شبوح بنشر كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" بالشراكة مع المحقق الراحل الدكتور/ إحسان عباس، وإن كان العبء الأكبر قد تحمله هو في التحقيق، وإنما وضع اسم المحقق الراحل من باب الوفاء له، رغم أنه لم يعمل معه في تحقيق الكتاب إلا مدة يسيرة فقط.

هذا الكتاب ملأ الدنيا، وشغل الناس، لأن «ابن خلدون» جاء فيه بالجديد، ووضع فيه أُسُس علم الاجتماع "العمران" البشري ومبادئه، ونظر للتاريخ، ليس كرواية للأحداث، بل هو علم يجب أن يُدْرس وفق منهج واضح، فتناول تاريخ المجتمعات بالدرس والتحليل، من نشأة المجتمع واستقراره وتقلبه بين الضعف والقوّة والفتوّة والكهولة، وأسباب نشوء الدول ونهوضها وقيامها وسقوطها، وقوانين العمران ونظرياته.

يرى الدكتور «إبراهيم شبوح» أن هناك علماء عربًا في التراث العربي سبقوا «ابن خلدون»، واشتغلوا وتركوا أعمالًا تدل على عمق في هذا الفهم لعلم الاجتماع الذي لم ينشأ في الغرب إلا في القرن التاسع عشر، وعلى جهود العلماء العرب والمسلمين.

ويضرب الدكتور «شبوح» مثلًا بالعلماء الذين سبقوا «ابن خلدون» إلى تأسيس نظريات علم الاجتماع ومفاهيمه: العلامة أبا الريحان البيروني، وله كتاب مشهور جدًّا اسمه يشبه بيت شعر من الرجز هو "تحقيق ما للهند من مقولة.. مقبولة في العقل أو مرذولة"، وهو مصدر معتمَد لدى الباحثين الهنود إلى الآن.

والبيروني عالم موسوعي ولد في أوزبكستان عام 362هـ الموافق 973م، وقد برع في علوم عديدة منها الفلك والجغرافيا والصيدلة والفلسفة والتاريخ، حتى لقّبه بعض المستشرقين ببطليموس العرب.

وقد عمل لدى السلطان محمود الغزنوي في غزنة مستشارًا فلكيًّا، وألّف أكثر من 160 كتابًا في شتى العلوم والفنون، أكثرها في الفلك والرياضيات، وهذا يدلّ على موسوعيته، وسَعة اطّلاعه، وتبحّره في علوم وفنون عديدة.

لقد سبق البيروني علماء الغرب إلى وضع نظريات مهمة في الفلك والرياضيات منها: وضعه في كتابه "القانون المسعودي" لمبادئ علم الفلك وتواريخ الأمم، وقد وثّق فيه حركة الشمس الدورية مرة كل عام، واكتشف حركة الأرض حول محورها، ودوران القمر حول الأرض، كما اكتشف أن القمر جسم معتم لا يضيء إلا بانعكاس أشعة الشمس عليه، كما اكتشف في كتبه الجاذبية الأرضية قبل حديث «نيوتن» عنها بسبعة قرون، كما ابتكر نظرية خاصة لتقدير "النسبة التقريبية" الضرورية لحساب مساحات الدوائر ومحيطاتها، وتمكّن من تقدير محيط الكرة الأرضية وقطرها.

ومِن ثَمَ تناولت أبحاثه علم ميكانيكا الموائع والهيدروستاتيكا، كما طالب باعتماد الذهب كأساس للعملات والنظُم الاقتصادية، وغيرها من النظريات الفلكية المهمة، التي سرقها علماء الغرب بعد ذلك، ونسبوها لأنفسهم كما هي عادتهم.

يقول الباحث يوسف الشاطر: «فلا عجب بعد هذا كله أن نجد المستشرق الألماني «سخاو» يصفه بقوله: «إن البيروني من أضخم العقول التي ظهرت في العالم، وإنه أعظم علماء عصره، ومن أعظم العلماء في كل العصور»، ونجد «جورج سارتون» يقول فيه: «كان رحالة وفيلسوفًا ورياضيًّا وفلكيًّا وجغرافيًّا وعالمًا موسوعيًّا، ومن أكبر عظماء الإسلام، ومن أكابر علماء العالم»، ونجد أيضًا المستشرق الروسي «كراتشكوفسكي» يقول فيه: «لا نملك إزاء هذا إلا الانحناء في خشوع واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التي توصّل إليها، والتراث العلمي الحافل الذي أنتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه». ولا عجب كذلك أن نجد في القمر أماكن تحمل اسمه، وأن تسمي روسيا مدينة وجامعة باسمه، وتقيم له تمثالًا في جامعة موسكو، وتنظّم في شأنه الندوات، ويُكرَّم من قِبل دول عديدة».

وفي كتابه هذا "تحقيق ما للهند من مقولة..." الذي وضع فيه البيروني الكثير من أسس علم الاجتماع ومبادئه، لم يكتفِ البيروني بما سمع عن الهنود وحياتهم وأخبارهم، بل رحل إلى الهند وأقام بها ما يقارب 40 عامًا، بمعنى أنها دراسة ميدانية شاملة، تناولت أديان الهندوس وعقائدهم وكتبهم وحياتهم وعاداتهم ولغاتهم وعلومهم وغرائبهم وعجائبهم وجغرافية بلادهم وأنهارهم ومدنهم وجزرهم وبحارهم، والكثير من القصص التي عاشها هناك بينهم..

والبيروني في هذا الكتاب ليس رحّالة يسجّل انطباعات ومشاهدات، بل هو عالِم أنثروبولوجي، وعالِم ينحت مفاهيم ويؤسس لعلوم عديدة، مثل علم الأديان المقارن، وعلم الاجتماع، وهو باحث دقيق، يسجل ما يشاهد، ويحلل ويبحث عن علله وأسبابه ومصدره، ويرد عليه، كما أنه كان موضوعيًّا؛ فذكر علومهم وما يمتازون به.

وهي دراسة ميدانية شاملة، تؤكد أن الحضارة الإسلامية لها الفضل الكبير في ظهور علم الأديان المقارَن وتطوره، وأن علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب في كثير من مواضيع هذا العلم وقواعده وأصوله، وأن دراسة علماء المسلمين للأديان، ومنهم أبو الريحان البيروني، لم تكن دراسة عشوائية وعبثية، بل كانت دراسة ميدانية منهجية قائمة على

أصول علمية مُحْكَمَة، توصلت إلى نتائج مدهشة، واحتوت على علوم عديدة مهمة، وتستحق الغوص فيها واستخراج جواهرها ونشر دررها للعالم.

"محمد أسد".. والسعادة الزائفة في أوربا

يروي المفكر الإسلامي الراحل/ محمد أسد –رحمة الله تغشاه– قصة عجيبة يقول: «في أحد الأيام –كان ذلك في سبتمبر 1926م– كنت أنا وزوجتي «إيلزا» نستقل مترو الأنفاق في برلين، كنا في الدرجة الأولى ووقعت عيني بالصدفة على رجل أنيق، يظهر أنه من رجال الأعمال، ويحمل حقيبة جميلة على رجليه، وبيده خاتم كبير الحجم من الماس!!

ولم يكن هذا المنظر للرجل غريبًا في هذه الأيام، وهو يعكس الرخاء الذي حل بوسط أوروبا بعد سنوات التضخم التي قلبت الموازين رأسًا على عقب.

معظم الناس الآن يلبسون ثيابًا جيدة، ويأكلون الطيب من الطعام، ولذلك فالرجل الجالس قبالتي ليس بدعًا في ذلك، ولكني عندما تحققت في وجهه وجدت الكآبة عليه!!

كان يظهر عليه القلق، وليس فقط القلق، بل التعاسة أيضًا، عيونه تحملق إلى أعلى، وزوايا فمه تتحرك كأن به ألمًا؛ ليس ألمًا جسمانيًّا، وحتى لا اتَّهَمَ بالوقاحة، فقد صرفت عيني عنه، لتقع على سيدة أنيقة،

فوجدت أيضًا التعاسة على وجهها، وكأنها عانت من شيء ما، ولكن الابتسامة على وجهها كانت ابتسامة متكلفة.

وهكذا بلا وعي أصبحت أتلفّت حولي في الوجوه التي بالمقصورة، لأرى أن الغالبية من الوجوه تعكس معاناة مخبوءة في العقل الباطن لهم، وهم لا يشعرون بذلك. في الحقيقة كان شيئًا غريبًا بالنسبة لي!

لم أرَ من قبل مثل هذا العدد من التعساء، وربما لأنه لم يسبق لي أن تفحصت مثل هذه الوجوه، لأجد هذه الظاهرة تصرخ بأعلى الصوت في وجوههم. الانطباع كان قويًّا داخلي، حتى إنني ذكرته لـ«إيلزا»، والتي بدأت هي الأخرى تجول في الوجوه التعسة بعناية، وهي الرسامة المتعودة على كشف تعبيرات الوجوه البشرية. التفتت نحوي مستغربة قائلة:

– أنت على حق، كلهم يظهر عليهم كأنهم يعانون من عذاب الجحيم... أتساءل هل يا ترى، هل يدرون ما يدور في أنفسهم؟

أنا أعرف أنهم بالطبع لا يعلمون شيئًا عن ذلك، وإلا لأنقذوا أنفسهم من تضييع حياتهم فيما يتعسها، بلا إيمان، وبعيدًا عن الحقيقة، بلا هدف غير جمع الأموال، والثروة والجاه، ورفع مستوى معيشتهم، بلا أمل غير امتلاك وسائل للراحة أكثر، وأمور مادية أكثر، وامتلاك للقوة

أكثر... حينما عدنا للمنزل، ألقيت نظرة على مكتبي، وعليه نسخة من القرآن الكريم، فأردت أن أضعها في المكتبة، ولكني بطريقة تلقائية فتحته لأقرأ فيه، فوقعت عيني على سورة التكاثر، فأخذت أقرؤها: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [سورة التكاثر: 1–8].

في لحظة انعقد لساني عن الكلام، واهتز الكتاب في يدي، وناولته لـ«إيلزا»، اقرئي هذا! أليست هذه هي الإجابة على ما شاهدناه في مترو الأنفاق؟! نعم إنها الإجابة...

نعم إنها الإجابة القاطعة والتي أزالت أي شك عندي أن هذا الكتاب الذي بين يدي الآن، هو وحي من عند الله العليم بالنفوس: فمنذ ثلاثة عشر قرنًا أُنزل على رجل لا يعلم دخائل النفوس، ولا يتوقع هذه الصورة التي رأيناها اليوم في مترو الأنفاق، والوضع المعقد الذي نعيشه الآن.

فتأمّل.

قصة طريفة يرويها الدكتور عبد الرزاق نوفل

يروي الدكتور عبد الرزاق نوفل (1917م – 1984م) قصة عجيبة كانت وراء اتجاهه نحو الدراسات العلمية المرتبطة بالإيمان بالله يقول:

ذات صباح في سنة 1935 كنت في الثامنة عشر من عمري، وكنت حينها طالبًا في كلية الزارعة، وكانت الأفكار المادية والجدلية الإلحادية قد بدأت تنتشر لأول مرة بين الطلاب الجامعيين في مصر، وفي هذا اليوم الذي لا أنساه.. فجأة، وقف أحد الطلبة من الزملاء يتحدى ويقول:

– إذا كان الله موجودًا كما تقولون، فليتقدم لإثبات وجوده بإزهاق روحي حالًا والآن، أما إذا لم أمت اليوم أو خلال ثلاثة أيام فلنبحث جميعًا عن معتقد آخر.

ووجم الجميع ونظروا إليه فوجدوه في تمام الصحة والعافية، وظل يضحك متحديًا الجميع، واتجهت أنظار معظم الطلبة إلى «عبد الرزاق نوفل»، وكأنهم يستنجدون به، كانوا يعرفون عنه ومن بعض مناقشاته أنه مؤمن إيمانًا عميقًا، مؤمن عن عاطفة وعلم.

ولكن المفاجأة التي أقدم عليها الطالب المتشكك في وجود الله جعلت لسان «عبد الرزاق نوفل» يتحجر في قلبه، وانصرف الطلبة إلى منازلهم ولكن «عبد الرازق» خرج من الكلية إلى الطريق يذرع القاهرة باحثًا عن كتب في المكتبات ليثبت وجود الله فلم يجد، وذهب إلي الكلية في اليوم التالي، وقد عزم أن يدخل مع هذا الملحد في جدال محوره أن الله لا يمكن أن يكون موضع تحدي عبد من عباده، واتفق «عبد الرزاق نوفل» مع زملائه على أن يذهبوا معًا بعد المحاضرة إلى هذا الطالب لتحذيره من الاستمرار في إنكار وجود الله، وصل «عبد الرزاق نوفل» وزملاؤه إلى منزل زميله فوجدوا أسرته تتقبل العزاء بعد أن فارق الحياة!

مات بسبب واهٍ تمامًا!

فقد كان مصابًا بخدشٍ في أذنهِ وخرج من المحاضرة بعد تحديه لله –عز وجل–، وذهب إلى حمام السباحة لأنه كان بطل الكلية في السباحة، وتلوث الجرح البسيط من ماء السباحة فمات فورًا.

سبحان الله!

وقد اتّجه «عبد الرزاق نوفل» إلى دراسة القرآن الكريم، واستوقفته فيه الآيات العلمية وأوجه الإعجاز العلمي فيها، فألّف كتاب "الله والعلم الحديث" ثم "القرآن والعلم الحديث"، وغيرها من الكتب المهمة.

رحمه الله.

الدكتور/ مصطفى محمود.. وروعة المذكرات

في مذكرات المفكر الراحل الدكتور مصطفى محمود –رحمة الله تغشاه– الكثير من القصص الرائعة والمواقف والطرائف، ومن القصص الرائعة أنه يقول: «كنت منذ طفولتي أشعر بقلبي وعقلي يتجهان إلى الدين، وإذا كان الجميع يعرف قصة رحلتي من الشك إلى الإيمان واليقين، فالذي لا يعرفه الجميع أن إمام جامع سيدي عز الرجال بطنطا هو من زرع بداخلي بذرة الشك الأولى في العقيدة، حيث قال لنا ذات يوم:

– شوفوا يا أولاد.. أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير والحشرات الضارة في المنزل.. وهي طريقة دينية عظيمة جدًّا.. وكل واحد يفتح الكراسة، وسوف أملي عليكم هذه الطريقة العظيمة.. وأخذ يملي علينا كلامًا، عبارة عن مزيج من الآيات والطلاسم، ثم قال لنا:

– ألصقوا هذه الورقة على الحائط، وسوف تكتشفون بأن الصراصير سوف تموت موتًا شنيعًا بهذه الطريقة العظيمة جدًّا، وبالطبع لقد فرحت من كل قلبي، لأني كنت على استعداد لتصديق كل ما يقول.

وكتبت كل ما قاله بالحرف الواحد، ولصقته باهتمام شديد على الحائط، وجلست منتظرًا النتيجة.

لكن خاب ظني، وأُصبت بإحباط شديد، فقد تزايدت الصراصير، وأصبحت أضعاف ما كانت قبل طريقة الشيخ، بل الأدهى من هذا أن الصراصير اتخذت الورقة التي أخبرني بها الشيخ ملجأ لها!

يومها أحسست أن الرجل نصاب كبير، وبدأت أشك في كل شيء حولي.

لقد كانت هذه بذرة الشك التي زُرعت في نفسي، وكنت لا زلت مراهقًا لم أتجاوز 12 عامًا، وأحببت أن أتمرد على شيخ الجامع، فكوّنت في بيتنا –المقابل للجامع– جمعية أسميتها "جمعية الكفار"، وكنت أناوش الشيخ بها، كنا نكتب مطبوعات هذه الجمعية، ونحاول اختراق المسجد لكي نلصقها بداخله، ونوزعها على المصلين لجذب أعضاء جدد!

لكنهم أمسكوا بي ذات مرة، وضربوني علقة سخنة في الجامع، وقد أخرج الشيخ كل غضبه عليّ في هذه المرة، لأنني فكرت، ولأنني أول من اعترض على كلامه وأفكاره.

يعلق مصطفى محمود على هذه القصة فيقول:

– لا شك أن الوعظ الخاطئ يمكن أن يقود إلى كارثة مروعة، فالذي قاله شيخ الجامع لا يمتّ للدين بصلة مطلقًا.

- كيف غرس والده حب القراءة فيه؟

يتحدث بأسلوب مشوق، وطرح رائع عن تفاصيل كثيرة في طفولته، فيقول:

– لا أنسى أن والدي جاء ذات يوم يحمل رزمة كتب ومجلات مربوطة بخيط دوبارة، وأعطاها لي دون أن يذكر لي ماذا أفعل بها.. كنت ما زلت طفلًا صغيرًا، وبالتالي كانت النتيجة المنطقية أن أقوم بتقطيع معظم هذه الكتب، إلا أنني وأنا ألعب وأمرح على بقايا مذبحة هذه الكتب والمجلات وقعت عيناي على إحدى صفحات مجلة، وكانت تحمل صورًا ورسومًا شيقة لقصة مصورة.. أعجبتني جدًّا.. وأردت أن أعرف باقي القصة، ودفعني عقلي الصغير إلى محاولة إعادة تجميع وترتيب القصة كلها.. وكانت بداية القراء معي..

وكان هذا ما يريده أبي، الذي كان يراقبني من بعيد.. بينما كان منهم في عمري لا يستطيعون حتى الرضاعة.

ويضيف الدكتور مصطفى محمود:

– كما أن هناك مشاهد من طفولتي لا يمكن أن تُنسى أو تنمحي من ذاكرتي، فقد كنت أحب وأعشق المدرسة، وأتذكر أن يوم الجمعة كان يوم الإجازة الأسبوعي من المدرسة، أو كما كنا نسميه يوم المسامحة، وكنت أتمرد على هذه التعليمات، وأذهب في الصباح، وأقفز من فوق السور إلى داخل المدرسة، حتى لا يراني الحارس وأتجول في الفصول، حتى يحين موعد أذان العصر، ثم أمضي إلى أصدقائي وأقص عليهم أنني كنت في المدرسة اليوم، فيقولون لي غير مصدقين أن اليوم هو مسامحة "عطلة" فأقول لهم:

– أنا ما عنديش مسامحة أبدًا.

- **عشق غريب للمدرسة والسفر**

وكان أحب الأيام لقلبي عندما أرتدي الزي الجديد في أول يوم دراسي، والأيام التي كنت فيها أقود مركبي التجاري إلى الهند، في أثناء تساقط الأمطار بمنتصف فصل الشتاء، في فناء المدرسة، فقد كنت أصنع مراكب من الورق، وأسيرها في المستنقعات الصغيرة والبرك التي خلفتها الأمطار، وأتخيل أنها ذهبت إلى الهند، وأني أقودها، وأثناء الرحلة تقابلت مع هنود، ونشبت بيني وبينهم صداقة حميمة، وعشت بخيالي مع البسطاء الهنود في أكواخهم في أعالي الجبال، وركبت الفيل وتجولت به وسط الغابات، وبعد انتهاء الرحلة عادت المراكب وهي تحمل عليها ملابس وطرح هندية جميلة وعاج وسواك وبخور.

ولكن كما كانت هذه القصص العجيبة والغريبة وغيرها سببًا في شعوري بالسعادة، وأنني أختلف عن الآخرين، كانت سبب متاعبي المستمرة، لمدى غيرة أصدقائي مني، لأنني لا أشاركهم ألعابهم وصراعهم، وتصوروا أنني أتكبر عليهم، رغم أنني كنت أكنّ لهم كل الحب والتقدير، ولكنني طفل ضعيف، ولا أقوى على مسايرتهم وممارسة ألعابهم.

- **قصة الحب الأول**

ويواصل الدكتور مصطفى محمود سرد مذكراته الشيقة:

– ولكن زاد من حنق أصدقائي عليّ، عندما علموا بأني غارق في قصة حب تجاه فتاة كانوا يتقاتلون عليها، وكنا نتجمع أنا وأصدقائي وأبناء الجيران في بير السلم، ونتبارى لإبراز مواهب كلا منا. وكانت تجلس معنا تلك الفتاة ناصعة البياض، ذات الشعر الأشقر ابنة الجيران "عديلة"، كانت جميلة جدًّا وعمرها تسع سنوات، وكانت تبهرها مواهبي التي تفوقتُ وتميزتُ بها على أبناء الجيران أو أي طفل آخر في عمري.

فقد كنت سواء أغني أو أقرأ القرآن لدي صوت جميل يشبه صوت الشيخ محمد رفعت، وكنت أحكي لهم جميعًا –ولها بالذات– حكايات من وحي الخيال، وكانت تجلس بيننا ككليوباترا أو نفرتيتي، وتطلب من كل طفل أن يحكي قصة من بنات أفكاره، لترى من يستحق حبها، وكانت حكايتي هي التي تفوز دائمًا، وبعد أن أنهي حكايتي كانت تنظر لي نظرة لم أنسَها إلى الآن.. نظرة انبهار.

وعلى مدى الأيام والشهور، كنت أولع بحبها، ويزداد إعجابها بي، وعندما أردت أن أهديها شيئًا، فكرت كثيرًا، وكنت أسأل إخوتي الذين

علموا بالأمر، والذي صار حديث أطفال الشارع والمدرسة جميعًا، وأطلقوا عليه قصة حب "محمود وعديلة"، ولكن استقرّ رأيي في النهاية على نوع الهدية، والتي كانت كتابًا يحتوي أشعارًا في الحب.

وبعدها بأيام قليلة وجدتها تهديني أول هدية حصلت عليها في حياتي من الجنس الآخر، وكانت عبارة عن "فيل عاج صغير"، وفرحت به جدًّا، لأنني كنت أحب الحيوانات جدًّا.

ولأن «عديلة» كانت جميلة جدًّا، كان صعبًا على جميع الأطفال، الذين فعلوا المستحيل من أجل أن تنظر إليهم نظرة واحدة، أن يصدقوا أنها فضلتني عليهم، وكلما شاهدوا هذا الحب في عيوني أو عيونها، وشرعوا في مضايقتي بأن يرددوا عبارة "من همه بيحب قد أمه"، وذلك لأنها كانت تكبرني بسنتين.

وفي النهاية اتفقوا مع بعضهم، ولم يجدوا طريقة لكي يخلصوا مني سوى ضربي علقة ساخنة، ونفذوا اتفاقهم عند عودتي من المدرسة، ولم يكتفوا بذلك، بل أصدروا فرمانا "مرسومًا عياليًّا" بعدم دخولي الشارع، ولكن تدخلت المفاوضات التي رضخوا لها بصعوبة شديدة جدًّا، بعد تعهُّدي بأن أبتعد عنها، ولا أحاول رؤيتها، وأنا ضعيف لا حول لي ولا قوة، ولا أستطيع أن أحاربهم في لعبة الضرب والحرب.

وعاش معي هذا الحب فترات تجاوزت سبع سنوات، رغم كل محاولات خصومي من الضرب والطرد والتهجير من الشارع...

- **أول تجربة للتلاعب بالرأي العام!**

في كتابه "البروباجندا" المنشور عام 1928، ذكر «إدوارد بيرنيز» أن السياسة تجارة الولايات المتحدة الأولى، فقد تعلّم القائمون على الأعمال التجارية وأصحاب الشركات الكبرى كل شيء قامت السياسة بتعليمه وتدريسه في الولايات المتحدة، إلا أن السياسة فشلت في تعلّم أساليب التجارة والرأسمالية، من حيث سيطرتها على الجماهير، وبيعها المنتجات والأفكار التي تريد نشرها بالتحديد.

كان هذا رأي إدوارد بيرنيز في بدايات القرن العشرين الماضي، إلا إنه يبدو أن هناك رجلًا سياسيًّا واحدًا تعلّم الكثير من التجارة وريادة الأعمال، ودمج ما تعلمه في مجال السياسة في عصرنا الحالي، ألا وهو الرئيس الأمريكي السابق «دونالد ترامب»، المعروف برجل الأعمال الناجح، قبل أن يتحول ليكون رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية.

هذا المقال ليس عن «دونالد ترامب»، بل عن الرجل الذي أراد لرجال أعمال مثل «دونالد ترامب» أن يتولوا مقاليد الحكم في الولايات المتحدة، فعلى الرغم من جهل الأغلبية به، كان الرجل صاحب حجر الأساس في نجاح نظام الرأسمالية خلال القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، وهو «إدوارد بيرنيز».

في العشرينيات من القرن الماضي، خرج «فرويد» بنظرياته عن الطبيعة الإنسانية، وغرائز الإنسان التي قد تدفعه لارتكاب أفعال حيوانية أو وحشية، أو في سياق آخر غير عقلانية، والتي كان من رأيه أنه يجب التحكم في تلك الغرائز من قِبل الجهات الأكثر تأثيرًا والأعلى سلطة، إلا أن العالم أجمع يعرف من هو «فرويد» ويعرف الأغلبية نظرياته أيضًا، لكنهم يجهلون الرجل الذي استخدم نظريات «فرويد» عن الطبيعة الإنسانية وطبقها على أرض الواقع، فلم تعد الحكومات تحل محل الجهات الأكثر تأثيرًا على غرائز الإنسان الوحشية، بل أصبحت تلك الجهة هي الشركات والمؤسسات الربحية الكبرى.

- **الأب الروحي للعلاقات العامة**

قرر «إدوارد بيرنيز» أن يكون له أسلوبه الخاص في التلاعب باللاوعي الخاص بالجماهير، ليكون القرار الذي تتخذه في النهاية قرارًا يصبُّ في مصلحة الشركات الربحية الكبرى كما كان الهاجس الأكبر للسياسة في ذلك الوقت من عشرينيات القرن الماضي، وتحديدًا خلال الحرب العالمية الثانية وما تلاها، هو كيفية التحكم في الجماهير والحشود، زرع «إدوارد بيرنيز» الهاجس ذاته لدى الشركات الربحية الكبرى، ولكن كان عندهم ذلك الهاجس في سياق كيفية اكتشاف غرائز المستهلكين ورغباتهم الأنانية أو الوحشية، على حسب رأي عالم النفس الشهير «فرويد»، ومن ثَمَ تطويع المنتجات على هذا الأساس، ليبدأ من هنا عصر "المادية" أو عصر "الاستهلاكية".

يُلقّب «إدوارد بيرنيز»، وهو ابن أخت عالم النفس «فرويد»، بـ«الأب الروحي» في مجال العلاقات العامة، والذي بدأ بتأسيّسه في أواخر القرن التاسع عشر، كان حينها نجمه ساطعًا بين الشركات، فتنافست الشركات فيما بينها على توظيف أفضل الموظفين في العلاقات العامة، إذ يصفها «بيرنيز» نفسه في أحد المؤتمرات الصحفية في التسعينيات من القرن الماضي بأن العلاقات العامة ما هي إلا وجه آخر للبروباجندا،

ولأن البروباجندا أو الدعاية يُساء فهمها في كثير من الأحيان، فكان يجب علينا إيجاد اسم آخر لها، وكان هذا المصطلح هو العلاقات العامة.

كان «إدوارد بيرنيز» أول من استخدم طريقة فرويد في التحليل النفسي للمستهلكين والزبائن، من أجل التحكم في اللاوعي الخاص بهم، أو في سياق آخر للتلاعب به وجعله يشتري ما لا يحتاج ظنًّا منه أنه يرغبه.

اتفق كل من «فرويد» و«إدوارد بيرنيز» على أن هناك الكثير من العوامل الظاهرة والخفية تحدد طريقة البشر في اتخاذ القرارات، والتي منها بالطبع قرار شراء بعض المنتجات أو استهلاكها، وآمن كلاهما أيضًا أن تلك العملية المعقدة لا تقتصر على الفرد وحده فقط، بل تكون أكثر تعقيدًا إذا ما كَبُر العدد ووصل إلى أعداد كبيرة من الجماهير المستهلكة.

قرر «إدوارد بيرنيز» أن يكون له أسلوبه الخاص في التلاعب باللاوعي الخاص بتلك الجماهير، ليكون القرار الذي تتخذه في النهاية قرارًا يصبُّ في مصلحة الشركات الربحية الكبرى في الأساس، فابتعد أسلوبه عن تلقين الجماهير معلومات وحقائق تضجر من سماعها، بل تلاعب باللاوعي والمشاعر والغرائز الخفية عن طريق التحليل النفسي الخاص بـ«فرويد».

أول تجربة للتلاعب بالرأي العام

كانت أول تجارب «بيرنيز» في ذلك محاولة إغراء النساء لشراء السجائر، لم تكن تلك بمهمة سهلة كما يتوقعها البعض مقارنة بمقاييس يومنا هذا، فحتى في الأوساط الأوروبية والأمريكية لم يكن من المعتاد أو من المألوف رؤية امرأة تدخن السجائر في الأماكن العامة، كما لم تكن مبيعات السجائر للرجال في محل مقارنة من الأساس مع مبيعاتها للنساء، إلا أن «بيرنيز» أثبت نجاحه في تغيير تلك المعادلة كليًّا.

كيف؟

طلب «جورج هيل» مؤسس صناعة السجائر في الولايات المتحدة من «بيرنيز» أن يجد طريقة يستطيع بها إقناع النساء بشراء السجائر وتدخينها في الأماكن العامة، فاستخدم «بيرنيز» التحليل النفسي ليجد ما الذي تعنيه السجائر للنساء، ومن ثَم وجد أن السيجارة تعني لدى النساء القوة والسيطرة الذكورية، ومن هنا خرج بفكرة ثورية أقنع بها النساء بالتدخين في الأماكن العامة.

وبالفعل.. لقد أقنع «بيرنيز» مجموعة من النساء بالتدخين في أثناء موكب شهير سنوي يحضره الآلاف من المتفرجين في الولايات المتحدة، كما أخبر الصحفيين بأمر مجموعة من المتمردات ينوين التدخين في أثناء مشاركتهم في تلك المسيرة، كما علق لافتة بين أيديهن تقول " السجائر مشاعل الحرية" حينها كان أمام الجماهير مجموعة من المتمردات يشرن إلى أن تدخين المرأة في الأماكن العامة تحدٍّ للسيطرة الذكورية، وهو في حد ذاته فعل يدل على الحرية والاستقلالية.

«بيرنيز» بتلك التمثيلية كسر "التابو" أو استهجان تدخين المرأة في الأماكن العامة، وحوَّله إلى ظاهرة اجتماعية مقبولة، ليخدم مصالح شركات التبغ، ولم يكن ذلك مجرّد استعراض أمام الكاميرات، بل كان حقيقة أدت إلى ارتفاع نسبة مبيعات السجائر للنساء بشكل جنوني، فكان أمام الجماهير في تلك الحادثة مجموعة حقيقية تمثلهن، يدخنّ بالفعل في مكان عام، ومعهن عبارة عقلانية تحاول ربط كل تلك العناصر في لاوعي المشاهد بأن التدخين بالفعل يعني الحرية للمرأة والاستقلالية، وهو المبدأ الذي ما زال مُتدوَالًا حتى الآن.

كانت تلك أول تجربة لـ«بيرنيز» للتلاعب بلاوعي الجماهير وتحريكهم من أجل خدمة مصالح الشركات الكبرى، فكان المُحرك الأساسي لفكرة

شراء المنتجات ليس فقط لأننا نحتاج إليها، بل لأننا سنشعر بشعور أفضل حيال أنفسنا، أو بالرضا عن أنفسنا إذا ما اشترينا تلك المنتجات.

كان ذلك حجر الأساس في تحويل ثقافة الولايات المتحدة بشكل خاص، والعالم بشكل أوسع وأكثر شمولية، من ثقافة مستهلكة بناءً على حاجات البشر، إلى ثقافة مستهلكة بناءً على استغلال رغباتهم.

جاء مبدأ «بيرنيز» ذلك في وقته المناسب تمامًا، إذ كانت الولايات المتحدة على رأس قائمة الدول المُصنّعة والمُصدِّرة إلى الخارج، فكانت الشركات تنتج المنتجات بكميات هائلة، زادت من خطر وجود إنتاج زائد عن حده، لدرجة أن يكتفي المستهلكون بما عندهم فيتوقفون عن الشراء، إلا أن مبدأ «بيرنيز» كان المنقذ لتلك الأزمة، فقد كان مبدؤه عونًا للشركات على صناعة المنتجات بناءً على ما يرغب فيه المستهلك، وهذا يعني بداية التنوع في الإنتاج وتخصيصه، ليكون مبنيًا في الأساس على رؤية المستهلك، ولكن بأيدي الشركات.

كان ذلك حجر الأساس في تحويل ثقافة الولايات المتحدة بشكل خاص، والعالم بشكل أوسع وأكثر شمولية، من ثقافة مستهلكة بناءً على

حاجات البشر، إلى ثقافة مستهلكة بناءً على استغلال رغباتهم وغرائزهم الأنانية التي تلح على إشباعها طول الوقت.

أصبح بيرنيز مستشارًا مهمًا للعلاقات العامة في أغلب الشركات الأمريكية الكبرى، حيث استطاع استغلال غرائز الإنسان التي لا يتحكم بها عن طريق وعيه، وآمن بأن ما يُحفز الإنسان هي تلك الغرائز غير المنطقية وغير العقلانية، فاستغلها وربطها بالمنتجات الاستهلاكية، فقد آمن أن تلك الجماهير من المستهلكين غير قادرة على اتخاذ قرار عقلاني وحدها، ولهذا يجب على الشركات الربحية التحكم بها عن بعد من أجل تحقيق أكبر قدر من الربح والمكسب.
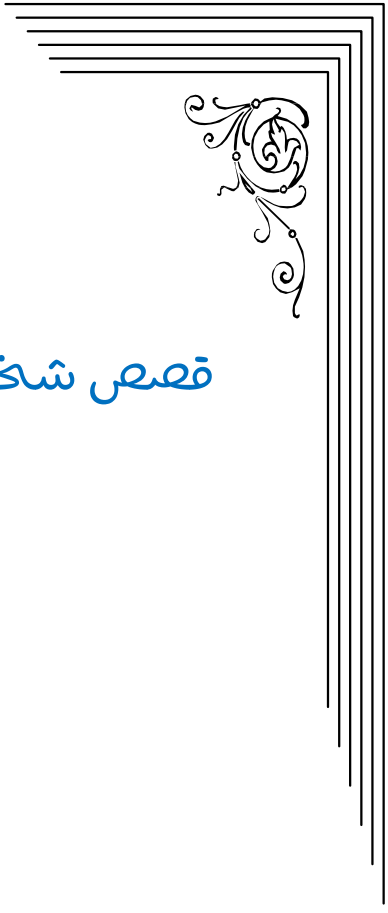
قصص شخصية

عن خلود القصة.. وآنية المقال

في حياتي لم أحب شيئًا كما أحببت القصص القصيرة كتابةً وقراءةً.. هذا الفن الساحر لو استطعت أن أتفرغ له طيلة حياتي لفعلت، لقناعتي بالدور المهم الذي يقوم به في غرس المفاهيم والقيم والتصورات في الأذهان والوجدان.

القصص القصيرة فنٌّ ساحر تقرؤه بمتعة وسلاسة، فيتغلغل في روحك، ويتسرب في وجدانك، كأنه سلسبيل ينساب في جدول، ويطبع في ذهنك الكثير من الأفكار والقيم والمفاهيم التي تبقى كنقش حجري وإن لم تتنبه له.

القصص الجيدة هي التي لا تستطيع تركها، هي القصة التي تظل متشوقًا لمعرفة نهايتها، وفي الوقت نفسه مستمتعًا بقراءتها، هي القصة التي تلهمك فكرة لقصة قد تكون مغايرة للقصة التي قرأتها أو مشابهة لها في جزئية بسيطة، لكن ما يهمّ هو فكرة القصة.

بعد أن تأتي الفكرة تظل القصة في ذهني أكتبها وأنقحها، أشطب وأضيف، وأختار العبارات، وأعدّل في ذهني، وتظل هذه القصة تتفاعل

في ذهني، وتشغل تفكيري رغمًا عني، حتى أكتبها على الورق، وبعد أن أكتبها أعود إلى قراءتها وكأنها قصة لشخص لا أعرفه، وكأني ناقد صارم يريد أن يبحث له عن أي عيب في القصة.. أقرؤها كأنها ليست قصتي، وأكتشف بعض الأخطاء والثغرات، أو ضعفًا في الصياغة، أو ركاكة في الأسلوب، ثم أعود لصياغتها من جديد، وقراءتها للمرة الأخيرة، ثم أنشرها، وبعد النشر أعود لقراءتها مرة أخرى، وأستمتع بقراءتها منشورة، وكل هذا التعب اللذيذ يشعرني بسعادة تغمرني، وأتذوَّقها بطعم الشهد المصفَّى.

أجدني في كتابة القصة مثلما يجد المطرب ذاته بالغناء، ومثلما يجد العصفور ذاته في الطيران والشدو.

في القرآن الكريم مئات القصص، ولو لم تكن للقصة كل تلك الأهمية لَمَا وُجدت القصص بكل تلك الكثافة في القرآن الكريم، ولَمَا سُمِّيَتْ سورة باسم «القصص».. ولَمَّا أصبحت الصحافة في الكثير من دول العالم تُصاغ بشكل قصص، والأخبار تُصاغ وتُبثّ بشكل قصص، والتعليم بشكل قصص، فهذا الفن هو الأسلوب الناجح في كل زمان ومكان، وكتابة القصص ليست للمتعة والتسلية، ولكنها تحمل رسالة أود أن تصل إلى الناس عبر هذا الفن الساحر.

مؤخرًا صارت تصلني الكثير من القصص القصيرة، يطلب كُتَّابها رأيي فيها، ورغم أن تجربتي البسيطة لا تجعلني مؤهلًا لنقد هذه القصص، فإنني أنصح بما أعلمه من خبرتي البسيطة...

البعض يخلط بين الخاطرة أو المقال القصصي، وبين القصة القصيرة، فمثلًا: وصلتني قصة جيدة، يتحدث كاتب القصة عمّا تعرض له حين كان على موعد مع مقابلة شفهية للحصول وظيفة، وكيف أن ضغط الوقت جعله يسابق الزمن ليصل في الموعد المناسب، وكيف وصل في اللحظة قبل الأخيرة وتمكن بالكاد من الحصول على مقعد وحضور المقابلة، وهو سرد جيد لأنه يمضي بشكل مشوق لمعرفة هل يتمكن بطل القصة من حضور المقابلة التي يعوّل عليها كثيرًا أم لا، وهل ينال الوظيفة، فهو يُشرك القارئ في معاناته، ويجعله يتطلع للنهاية الذروة التي يتنفس فيها الصعداء بعد فوزه بالمقابلة وحصوله على الوظيفة، ولكنه يمضي بعد ذلك في إسداء النصائح بأهمية الوقت وضرورة الاستفادة منه، وهذا استطراد يقتل القصة تمامًا، فالقصة ليس فيها نصائح ولا آراء، فهي ليست مقالًا أو خاطرة، وإنما جنس أدبي آخر، ليس فيه إرشادات ونصائح، وهذه أول النصائح...

القصص لا تعظ.. تلمّح ولا تصرّح.. تومئ بإشارة يفهمها الحليم.. أسلوبها الساحر الممتع يترك أثرًا غير مباشر، أثرًا خفيًّا وخطيرًا في الوقت نفسه.. القصة أخطر من المقال بألف مرة، لكنهم يقرؤونها غالبًا قراءة سطحية.. القصة خالدة، والمقال آنِيٌّ ابْنُ يَوْمِهِ أو أسبوعِه، بينما تبقى القصة ويُكتب لها الخلود، وتُقرأ بكل اللغات والأماكن.. ما زال الناس حتى اليوم يقرؤون قصص «انطوان تشيخوف» و«جي دي موباسان» و«ساكي مونرو» و«جابرييل جارسيا ماركيز» و«يوسف ادريس» و«نجيب الكيلاني» و«نجيب محفوظ» وغيرهم، رغم موتهم، ورغم أن لنا أكثر من قرن منذ كتب «انطوان تشيخوف» قصصه، وما تزال إلى اليوم نماذج مدهشة خالدة، لأنها تجسّد أشواق الإنسان وآلامه وآماله في كل زمان ومكان.

أديب فاشل.. يبحث عن تكفير عاجل!!

من المؤكد أن من يسيء للمقدسات هو شخص فاشل، لأن مجال التعبير الفكري والإبداعي مجال واسع، وقد كتب الآلاف من الشعراء والمبدعين والكتاب الآلاف من الأعمال والنصوص الأدبية الخالدة، التي أدهشت العالم دون الإساءة للمقدسات والثوابت، وقد كتبت في وقت سابق، وكتب غيري ناصحًا البعض بما خلاصته:

من وجدتموه يحاول مناطحة الثوابت، والسخرية من الشريعة ومن الإسلام ومن العلماء والرموز الوطنية، فتجاهلوه، ولا تروجوا له بالرد عليه، سواء في صفحته وفي صفحاتكم، فهو يريد الشهرة، وأنتم بهذه الردود والتعليقات تقعون في الفخ، فقط تجاهلوه تمامًا، اتركوه يسب ويشتم ويلعن وحده، لا تمنحوه سوقًا وتسوقوا له بغضبكم وردودكم، فهؤلاء نكرات يحاولون تسويق أنفسهم لدى بعض الجهات والأشخاص بأنهم من المفكرين والمبدعين والناشطين الذين يتعرضون للتحريض والإرهاب الفكري، ليتم الالتفات إليهم ودعمهم.

طبعا الأمر يختلف عندما يكون أكاديميًّا له ثقله، أو مثقفًا معروفًا وله جمهور كبير، وقد نشر ما رأيتم أنه يخالف ثوابت الإسلام ونصوصه في صفحته، إن كانت معروفة أو وسيلة إعلامية لها جمهور كبير، هنا لا بد من الرد عليه بهدوء، والتوضيح للقراء تهافت ما كتبه، وبلا تشنّج وتكفير وانحدار إلى الشتم غيرةً على الإسلام والثوابت، فالإسلام شامخ كجبل لا يضره من يحاول نطحه، بل هذا الناطح من ستنكسر قرونه بنطحه للجبل، كما قال الشاعر:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

والإسلام مثل البحر، لا يضره إن رمى فيه سفيهٌ بحجر، فدعونا نقطع ألسن السفهاء بتجاهلهم، وعني أحدّثك، إذ عشت قصة من الواقع توضّح ما يحدث، ففي أثناء عملي سكرتيرًا إعلاميًّا للشيخ عبد المجيد الزنداني، اتصل بي أكاديمي كويتي معروف يرأس مؤسسة ثقافية في الكويت، ودار بيننا سؤال وجواب كشف لي قضايا مهمة، أنقل لكم نص الحوار:

– من معي؟ أستاذ محمد العمراني؟

– نعم، أهلًا وسهلًا.

– معك الدكتور فلان الفلاني من المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت.

– نعم أعرفك، وأقرأ لك مقالات، أهلًا وسهلًا بك يا دكتور.

– أستاذ محمد، أنت السكرتير الإعلامي للشيخ عبد المجيد الزنداني؟

– نعم، أهلًا وسهلًا.

– يا أستاذ، تواصل معنا الشاعر والناشط اليمني فلان الفلاني، هل تعرفه؟

– لا، ما أعرفه.

– يا أستاذ، هذا الشاعر كتب لنا عشرات الرسائل يشكو فيها من الحملة الإعلامية والتحريض الذي يتعرض له من قِبل الآلة الإعلامية التابعة للشيخ الزنداني، وفتوى الشيخ التي أهدر فيها دمه وحرض على قتله، فهل هذا صحيح؟

– أولًا: أنا أول مرة أسمع بهذا الشخص. وثانيًا: الشيخ الزنداني –وأنا وثيق الصلة به، ومَن يزوّده بالأخبار والصحف وكل جديد– لا يعرف

هذا الشخص، لا من قريب ولا من بعيد، ولم يسمع به، أو يحرض عليه، ولم يكفّره، ولا صحة لهذا الكلام على الإطلاق.

– عجيب هذا الكلام، مش معقول، هذا الشخص كتب لنا عشرات الرسائل، وطلب منا دعمًا ماديًّا، وتضامنًا معه، وقد حوّلت له مبلغًا، وفكّرت أن نصدر بيان تضامن معه.

– يا دكتور، هذا شخص كاذب، يبحث عن الحصول على المال والشهرة بهذه الطريقة، وللأسف صدقتموه.

– تصور كان يطلب أن نمنحه لجوءًا إنسانيًّا في الكويت، لأنه يخشى على حياته من تهديد المتطرفين في اليمن –كما قال–، وقد اتصل بي مرات عديدة على هاتف منزلي، ولست أعلم من أعطاه رقم هاتفي!

– للأسف هذا الشخص وأمثاله يحاولون تسويق أنفسهم لدى المنظمات والجهات الأجنبية بمثل هذه الطريقة، وقد طلب مني أحدهم أن أدفع العلماء إلى تكفيره، وأحرضهم عليه، وعرض عليّ مبالغ مالية، وأخبرني أنها خدمة لن ينساها، لأن منظمة في أوروبا ستمنحه اللجوء الإنساني إذا تم التحريض عليه وتكفيره.

قاطعني ضاحكا – وهل قدمت له هذه الخدمة؟

– لا، وقد كتبت عنه فيما بعد مقالًا بعنوان «أديب فاشل.. يبحث عن تكفير عاجل»، ولما يئس مني، تهرب إلى أوروبا عبر المغرب، ولم أعلم بمصيره حتى الآن.

– واضح أنني تعرضت لخديعة من محتال، وعمومًا مشكور أستاذ محمد على هذا التوضيح.

– كل الشكر لك أستاذي، في سلامة الله وحفظه.

وإلى اليوم للأسف ما يزال أشباه هذا الأديب الفاشل يظهرون بصورة وأخرى، وبشكل وآخر، ليقدموا حركاتهم القديمة المكشوفة، بينما المبدع الحقيقي من وجهة نظري، هو من يقدم العطاء الصافي للناس، ويعرف دوره وأولوياته ومسئوليته أمام مجتمعه، وليس نكرة كل همه هو النيل من المقدسات والثوابت الإسلامية، ليشتهر وينال "عرضًا من الدنيا قليلًا".

رُفعت الأقلام، وجفت الصحف.

الإساءة للمقدسات ليست شرطًا للإبداع!

قرأت مؤخرًا مقالًا لكاتب أُعجبت بأسلوبه الرائع، وسرده المشوق، ولغته الجميلة، التي تسحرك، وتشعر معها أنك تغادر عالمك إلى عوالم أخرى من الجمال والإبداع، قادني إعجابي بأسلوبه الرائع وسرده الممتع إلى قراءة كل ما يكتب، وتطورت حالتي، فعدت أقرأ له بأثر رجعي، وصار يومي لا يكتمل إلا إذا قرأت له ولو منشورًا قد كتبه قبل أشهر أو سنوات!

تستطيع القول إنني أدمنت على قراءة كل ما يكتبه، وفجأة صدمني في منشور له بأنه في معرِض وصفه لجمال فتاة بهره حسنها، وسال لعابه لرؤية مفاتنها، قد أساء للذات الإلهية من حيث شعر أو لم يشعر! فسقط من عيني، وحزنت لسقوط هذا النجم الذي كانت له مكانة عالية في سماء الفكر والإبداع، لكنه هوى، وتساءلت: هل يريد بهذا المنشور استفزاز الناس ليردوا عليه ويتهموه بالكفر والفسوق والعصيان؟ فيصور نفسه ضحية للمتدينين، ومفكرًا محاربًا من "متطرفي" الإسلاميين، فينال المزيد من الشهرة ورعاية المنظمات الأجنبية؟ أم أن التعبير قد خانه، وزل لسانه بتلك الكلمات والعبارات بحسن نية؟!

هو كاتب منحه الله كل هذه القدرات الكبيرة، والأسلوب الرائع، والقدرة على الإبهار والإقناع والتدفق، فما الذي ينقصه؟ وما الذي يحتاج إليه ليصل بفكرته إلى الناس؟!

هل يريد أن يُقال عنه أنه كاتب حر كسر كل التابوهات، وتجاوز كل المقدسات؟!

ولماذا يكتب تلك المفردات المسيئة لله –عز وجل– وهو قادر على الإبداع والإمتاع دون الإساءة للذات الإلهية، ومقالاته ومنشوراته الأخرى تؤكد هذا الأمر؟!

هناك كمٌّ وفير، ورصيد كبير من الألفاظ والمفردات العربية، تغنيه وتغني أي كاتب عن الإساءة للذات الإلهية، وتجعل مقاله يصل إلى ذرى الإبداع، وقمم الكمال الأدبي، فلغتنا العربية لغة مدهشة، وألفاظها الثرية توفر مادة للشاعر والناثر، وتغني عن المفردات التي قد تكون حمالة أوجه، أو قد تُؤَوَّل على أنها إساءة للذات الإلهية، ناهيك بالتي تدل صراحة على الإساءة لرب العالمين.

حزنت لسقوط كاتبي المفضل في هذا المنزلق الخطير، وتمنيت أن يكون قد انتبه لخطورة ما كتبه وتاب إلى الله وأناب، فليس في الإساءة لله

شجاعة أدبية أو إبداع وتفرّد، بل هو سقوط محض، والدليل أن الآلاف من الكتاب في العالم من غير المتدينين أو حتى من غير المسلمين أو من الملحدين قد أبدعوا الروائع الأدبية دون الإساءة للمقدسات الدينية، إذ ليست الإساءة للمقدسات شرطًا للشهرة والذيوع والانتشار، ناهيك بكونها شرطًا للإبداع والتميّز، إضافة إلى أنهم يحترمون جمهورهم من المتدينين، بينما البعض من الكتاب المسلمين يسيء لله –عز وجل– وبكل وقاحة وصفاقة، ظنًّا أنه بهذه الإساءة قد بلغ الكمال، وامتلك زمام الإبداع، دون أن يبالي بسخط الله، أو بغضب خلقه، ودون أن يدرك أنه بهذه الإساءة قد ألقى بنفسه في هاوية سحيقة، ورمى بمشاعر جمهوره –وأغلبهم من المتدينين– عرض الحائط، مع أنهم هم من منحوه كل هذا التألق والحفاوة والتشجيع والشهرة، حتى أعماه الغرور، فنسي نفسه، وأساء لخالقه!!

قد نتغاضى أحيانًا عن وصف أديب لجمال المرأة وجسدها، والإسهاب في تصوير مفاتنها بما يحرك الشهوات، ويثير الغرائز والرغبات الجسدية المكبوتة، ونقول: لقد أخطأ في هذا الوصف، ولو أنه ارتقى بما كتبه لحلّق عاليًا في سماء الإبداع، ولخاطب العقل، وسما بالروح والوجدان، ولكننا لن نسكت عن الإساءة لربنا وخالقنا بأي حال من الأحوال، وتحت أي ذريعة أو مسمى، إذ الكلمة مسؤولية، والحرية لها حدود، والإبداع هو

تلك الروائع التي تسمو بأرواحنا وترتقي بوجداننا عاليًا، دون مساس بالذات الإلهية أو الثوابت الوطنية.

نحن بحاجة إلى ميثاق شرف مكتوب، يجرّم الإساءة للمقدسات والأديان، ويلتزم به الجميع، حتى يدرك الجميع الحدود التي يجب أن يقفوا عندها، وقبل هذا كله، نحن بحاجة إلى الرقابة الذاتية، والخوف من الله، وأن ندرك أن الإساءة للذات الإلهية سقوط لا إبداع، وانحدار لا حرية.

أنا.. والسلفادور دالي.. والسوريالية اليمنية!

في سنوات الحرب العجاف في اليمن، وخلال أسابيع الهدنة، والإعلان عن مفاوضات بين الأطراف اليمنية، كنت أجد أني محتاج إلى الهرب من هذه الكوابيس السياسية التي تداهمني في اليقظة جرّاء المتابعة المستمرة لأخبار الحرب وتأثيراتها الكارثية على الإنسان اليمني، كنت أفكر جديًّا في السفر من اليمن إلى أي بلد آمن، وأجدني عاجزًا عن السفر لتكاليفه الكبيرة، إذ لم أتمكّن من السفر إلى القاهرة للعلاج إلا في 12 أبريل عام 2018م بعد أن اشتد مرضي.

في الواقع كنت كطير مقصوص الجناح، لدي أفكار وأحلام وطموحات، وتنقصني حقيبة سفر مليئة بالدولارات!

لقد أصبح الوضع في الداخل اليمني حينها كلوحة سوريالية، حالة من اللا سلم واللا حرب، وبالمقابل هناك الكثير من الغموض والترقب والشكوى، والجميع يتطلع لتحقيق السلام والاستقرار، ويراقب نتائج مفاوضات عبثية ستفضي إلى كارثة، حيث كل طرف يتمسك بمواقفه

وبتحقيق أهدافه، دون أن يبدي طرف استعداده للتنازل من أجل الوطن.

كنت أتابع ما يحدث، وفي القلب وجع من يعيش معتلًّا جسديًّا ومعنويًّا، وكأنه خسر كل أمواله دفعة واحدة، ثم أُصيب بعضّة كلب!

تكاثرت الذئاب على خراش

فما يدري خراش ما يصيد؟!

كثيرًا ما كنت أتساءل:

– ما الحل في مثل حالتي، وأنا مريض بالسكري، والكل ينصحني ألّا أفكر أو أتوتر، وأن لليمن ربًّا يحميها؟!

– كيف أنجو من التفكير في السياسية، وأنا كمن يجلس على تل تحاصره السيول ويكاد يغرق؟!

وكنت أهرب إلى القراءة، إذ كانت الملاذ شبه الوحيد لنا في ذلك الوضع السوريالي، إذ الأفق مفتوح على كل التوقعات والاحتمالات، وحيث الكل يُجمِع على أن الوضع هذا سيطول، وقد يدوم لسنوات طوال!

إذن سأقرأ لرائد السوريالية ذاته، سأقرأ لـ«سلفادور دالي»، فأحيانًا يكون العلاج بشعرة من ذيل الكلب الذي عضك كما يقول «غازي القصيبي» ساخرًا!

لقد كتبت مؤخرًا أننا في وضع يشبه لوحة سوريالية، ثم تخيلت بعض القراء يتساءلون عن ماهية السوريالية؟

– ماذا لو قلت إننا في واقع مملوء بالمتناقضات، هل تكون مفهومة أكثر؟

أكتب وأتساءل:

– هل يُفترض بالكاتب أن يحشر في مقاله مصطلحاتٍ ومعانيَ لا يفهمها إلا النخبة حتى يعتبره البعض كاتبًا متميزًا، ومثقفًا موسوعيًّا؟!

يومها كانت مفاوضات الكويت قد تحولت هي الأخرى إلى لوحة سوريالية فعلًا، وفود تتأخر ثم تحضر، وفد ينسحب ثم يعود، يهاجم أحدهم المبعوث الأممي إلى اليمن حينها «إسماعيل ولد الشيخ» في الليل، ويجتمع معه في الصباح!

يقولون إن ما يحدث في مدينة «تعز» حينها من قصف من قِبل الحوثيين نسف المشاورات، ثم ما يلبثون أن يلتقوا على طاولة المفاوضات!

يقولون إن ما حدث في معسكر العمالقة قد حطّم تلك المشاورات، وأنهى المفاوضات، ثم يعودون إلى المفاوضات العبثية!

ويومها ظهر إعلامي حوثي يبثّ تقريره وهو يرتدي الزي العسكري في مقرّ المفاوضات في الكويت، وقبلها أصدر مجموعة من وفد جماعة الحوثي الصرخة، وأدوا رقصة البرع قرب أبراج الكويت، ولم أستبعد حينها أن يظهر مذيع حوثي، أو مفاوض من حزب المؤتمر متقلدًا لرشاش كلاشينكوف.. فكل شيء جائز وسوريالي!!

بالتأكيد ليس «السلفادور دالي» عضوًا في مفاوضات الكويت.. فمن هو إذن؟

هل هذا سؤال يصدر عن مثقف؟!

وهل كنت أحتاج إلى تلك المقدمة الطويلة لأصل إلى مذكرات «سلفادور دالي» التي قرأتها بمتعة كبيرة؟!

أقول هكذا لنفسي، فقبل قراءتي لتلك المذكرات كانت لدي معرفة بسيطة برائد مدرسة السوريالية في الفن التشكيلي الذي قال:

– «لست سورياليًّا.. أنا السوريالية!»

وأنا لا أفهم كثيرًا في الفن التشكيلي ومدارسه، وأجد لوحات كثيرة هي محض شخبطات، هذا على الأقل بالنسبة لشخص ممتلئ بالمخاوف والهواجس، كأنه رمى للتو بعصارة عشبة القات من فمه، ثم قعد يشرب الشاي الحليب ويشخبط في الأوراق التي أمامه وهو يحدق في الأفق!

كان الفنان الإسباني «السلفادور دالي» الرسام، والنحات، والكاتب، والمصور، والمخرج السينمائي، صاحب اللوحات الأشهر، غريب الأطوار، قد لفت انتباهي بعينيه الحادتين كعيني صقر، وبشواربه العجيبة التي يتباهى بها ويرفعها إلى الأعلى وكأنه عمدة صعيدي في منتصف القرن الماضي!

عاش «سلفادور دالي» حياته كما يحب، وفي مذكراته ما يستحق القراءة، خصوصًا وهو يروي حياته بكل شغف وصدق وعفوية، كأنه يحدثك كزميل دراسة في لحظات صفاء وتجلٍّ.

في "يوميات عبقري"، وهذا عنوان المذكرات، يروي «دالي» أنه عاش مرفهًا في أسرة ثرية، ساهم جاره "رامون بيشوت" في دخول «سلفادور» عالم الرسم، فرسم أولى لوحاته وهو في سن السابعة، مما دفع عائلته لإدخاله إلى أكاديمية الفنون الجميلة في سان فيرناندو في مدريد، وهنا كانت البداية، بعدها دافع عن أحد أساتذته اليساريين، مما أثار غضب

إدارة الأكاديمية، فطُرد لمدة سنة، تزوج، وسافر، ورسم الكثير من اللوحات المدهشة، وعرف حياة الفقر، والجوع، والفاقة، كما عرف طريق الثراء العريض والشهرة الكبيرة، كانت له مواقف ومغامرات، عاش حياته بالطول والعرض، خاض في المغامرات النسائية والفضائح، وسعى لاستغلال فضائحه واستفزازاته في مشاريع تجارية مربحة!

قرأت بمتعة مذكراته التي رواها بكل صدق، وكنت أتعجب من لامبالاته وسلوكه الطائش، كدفعه صديقه عن حافة عالية كادت تقتله، أو رفسه رأس شقيقته «آنا ماريا» التي كانت تصغره بثلاث سنوات، أو تعذيبه لقطه حتى الموت، وكان يجد في أعماله تلك متعة كبيرة كالتي كان يشعر بها حين يعذب نفسه أيضًا، إذ كان يرتمي على السلالم ويتدحرج أمام نظر الآخرين، ويسبب لنفسه الكثير من الإصابات والجروح!

كُتب عنه كثيرًا، ورأى البعض من النقاد أن تلك التصرفات الغريبة والجنونية التي أوردها «سلفادور دالي» في مذكراته فيما بعد هي التي شكّلت الشرارة النفسية الأولى للمذهب الفني الذي اختاره للوحاته!

عاش في باريس ولندن وسافر للولايات المتحدة الأمريكية، واختلف مع والده ووالدته، وطُرد من المنزل، ثم عاد وتصالح معهم، خاض في السياسة وتركها، وقد حرص في أعماله الفنية على صدم المُشاهد

بأعمال غريبة غير مألوفة، كما كانت بشخصيته ولوحاته وكتاباته وحياته تجسد اللامعقول والاضطراب النفسي، وفنه في خلطة غريبة من الجنون والعبقرية الممتزجة بالنرجسية، والتي كانت تعبر عن التعقيد والارتباك الذي بدأت تتسم به الحياة يومها، كما كانت تعبر عن عوالمه المضطربة، وشخصيته اللامبالية تجاه أي شيء.

أتساءل: ماذا لو كان «سلفادور دالي» ما يزال حيًّا، وطُلب منه أن يرسم لوحة لمفاوضات الكويت، ثم المفاوضات التي تبعتها في السويد وغيرها، فكيف سيرسمها؟ وكيف سيرسم المشهد اليمني عمومًا بعد أن تعقد كل هذا التعقيد، واختلطت الأوراق فيه، وتشابكت أحداثه إلى هذه الدرجة التي أعيت المحللين، وأعجزت المتابعين؟!

فرنسا لا توزع جوائزها مجاناً

فرنسا الدولة الأوروبية الأكثر تطرفًا في محاربة الإسلام والمسلمين، والتي أصرّت على نشر الرسوم المسيئة للرسول –صلى الله عليه وسلم–، متحدّية مشاعر أكثر من مليار ونصف مليار مسلم!

تُعتبر فرنسا، التي يعتنق قادتها النسخة الأكثر تطرفًا من العلمانية (اللائكية)، أبرز دولة أوربية تسعى للتضييق على مسلميها، حيث تغلق المساجد، والجمعيات الخيرية الإسلامية، وتحارب الحجاب، وتبذل كل أسباب التضييق على المسلمين وتهميشهم وإقصائهم!

فهل بعد كل هذا تمنح فرنسا أوسمتها ونياشينها وجوائزها لكتّاب وأدباء من المسلمين الذين يخدمون دينهم وأوطانهم؟!

هل يُعقل هذا؟!

هل تقدّم الدولة الفرنسية –المتطرفة في علمانيتها وحقدها على المسلمين– جوائزها للمسلمين الذين يكتبون بأدب راقٍ وإبداع رفيع يحثّ على القيم والأخلاق، ويسمو بالقارئ إلى آفاق رحبة من تألّق الروح وسموّ المشاعر وثراء الوجدان؟!

أكتب هذا وأتساءل هذه التساؤلات بمناسبة منح فرنسا لوسام الفارس لكاتب يمني سيئ السمعة، كاتب متشرد، يتسكع منذ سنوات في حانات باريس، حاول الانتحار مرارًا، وعُرف عنه تطرفه في الدفاع عن المنظمات النسوية المتطرفة وكل دعوة مناهضة للإسلام!

ومن الغريب أن البعض من المحسوبين على النخبة اليمنية أشاد بهذه الخطوة، وللأسف لا يدرك هؤلاء الأهداف الخفية وراء منح هذه الدول هذه الأوسمة والجوائز!

وفي الحقيقة هذه الدول لا تمنح أوسمتها ونياشينها للمبدعين، ولكنها تقدمها وفق قراءة واعية لواقعنا، وفي إطار دراسة دقيقة، فهي خطوة محسوبة، تسعى من ورائها لتحقيق أهداف وبرامج تخدم أجندتها وتحقق أهدافها، فهذه الدول تسعى لإبراز هذه الشخصيات وتسويقها، وتحويل أمثال هذا المتشرد المتسكع في حانات باريس إلى قدوة لليمنيين، والترويج لما يكتبه من روايات، وما يقدمه من دعوات مشبوهة، وفكر معتل معادٍ لكل القيم، ومناهض للأصالة والإبداع.

قرأت قبل سنوات رواية لهذا الشخص، فأُصبت بالغثيان، ولم أستطع إكمال القراءة لما فيها من إسفاف، فهو يكتب وكأنه في ماخور دعارة، روايات مبتذلة مليئة بالألفاظ الإباحية والدعوات الشهوانية والإسفاف،

روايات تصيبك بالكآبة والإحباط والغثيان من لغتها الهابطة، وأسلوبها الفج، ومضمونها البعيد كل البعد عن الإبداع، ومع ذلك يُرَوَّج لها على أنها روايات جريئة، وتصور واقع المجتمع، بينما هي بعيدة كل البعد عن المجتمع اليمني، ولا تصوّر إلا المجتمع الفرنسي بكل ما فيه من إباحية وتفلُّت ودعارة وإسفاف تثير الغثيان والاشمئزاز!

اقرؤوا لهذا الشخص رواية "حرمة"، فستجدون أنها رواية مسيئة للمرأة اليمنية، إذ يصورها كعاهرة في لغة غاية في الإسفاف والابتذال، رواية لا صلة لها بالأدب والإبداع الذي يسمو ويرقى بالروح والوجدان.

إنها روايات تدعو للانحراف، وتحرض على الشهوات، وتثير الغرائز بشكل مقزز ورخيص، ولذا يُكَرَّم كُتّابها وتسويقهم والترويج لهم، فنحن في زمن التسويق للتوافه والترويج لأمثال هؤلاء.

أما المبدع الحقيقي، فالكل ضده، والكل يحاربه، ويجد ألف عقبة أمام نشر إنتاجه والتسويق لأدبه، الذي يروي عطش القلوب والأرواح لكل رقيٍّ وسموٍّ وإبداع يسمو بالمشاعر ويهذبها، ويحلّق بها في فضاء الإنسانية بعيدًا عن النزعات الحيوانية، والدعوات الشهوانية، وأدب الفراش الرخيص المثير للغرائز، والذي يُسَوَّق له لأهداف تخريبية لا تمتّ للأصالة والإبداع بصلة.

للأسف.. الكثيرون من المحسوبين على النخبة في بلادنا تنطلي عليهم مثل هذه المبادرات، ويظنون أن فرنسا المحاربة للإسلام والمسلمين تريد خيرًا لنا، ويمكنها أن تقدم أوسمتها لمبدع يمني يحب دينه ووطنه، ولديه إبداع يستحق أن يُقرأ!

للأسف نخبة مخترقة وقابلة للاختراق وكانت بهذه السلبية أحد الأسباب التي أدت إلى ما وصلنا إليه!

عبارة كرّست السرقة الفكرية!

«منقول»... هذه هي الكلمة التي كانت السبب في ضياع حقوق الملكية الفكرية للكثير من الناس: كُتابًا، علماءَ، مبدعين، عصروا أذهانهم، وأنتجوا إبداعات ومقالات، وكتبوا منشورات متميزة، وتغريدات رائعة، ثم يأتي البعض، يعجبه هذا المنشور أو المقال أو المقولة أو التغريدة، فينقلها وينشرها باسم «منقول»!

منقول ممن؟

هل هبط هذا المقال من السماء؟!

أو هل نبت من الأرض؟!

أو هل وجدته مرميًّا في الأرض لقيطًا ليس له صاحب؟!

أليس له كاتب؟!

هذا المنشور الرائع، والتغريدة المتميزة، والمقولة الجميلة، مؤكد أن لها كاتبًا ولها صاحبًا.. فلماذا لا ننسبها لصاحبها؟!

هل نشرنا لها في صفحاتنا أو تداولها في مجموعات الواتساب وغيرها باسم «منقول» يعطينا الحق في نشرها؟!

برأيي هذه مساهمة في السرقة الفكرية، وتكريس للسطو الأدبي على حقوق الغير.. شخصيًّا لا أفهمها إلا بهذا الفهم.

وصلتك على الواتساب مقالة رائعة، اسأل من أرسلها عن صاحبها، وعن مصدرها، فإن لم يعلم لها صاحبًا، واعتبرتها "لقطة" أو مقالًا تائهًا أو منشورًا هرب من كاتبه، أو مقولة فرّت من صاحبها، فلا تساهم في نشرها مهما كانت روعتها، إلا إذا علمت مصدرها، وحينها يمكنك أن تنشرها منسوبة إلى مصدرها، فحفظ الحقوق أولى من تعميم الأفكار المجهولة.

أنت قرأت كتابًا وأعجبتك عباراتٌ منه، أو فكرة فيه، ونقلت منه بعض الأسطر.. انسبْها للكتاب، واذكر اسم مؤلف الكتاب.. نقلتها من صفحة لكاتب، انسبها لهذا الكاتب.. نقلتها من موقع أو من أي مصدر، انسبها للمصدر.

أحيانًا أقرأ مقالًا جميلًا، وألتمس لنشره في صفحتي في الفيسبوك، كنوع من تعميم الإبداع والكتابات الجادة، ولكني عندما أصل إلى نهايته،

وأُفاجأ بأنه مذيل بعبارة «منقول»، أتوقف عن نشره أو تداوله، لأنه "مقال تائه يا أولاد الحلال" وهو "حلو ومسمسم، ولكنه لقيط، ليس له أب"!

المعرفة حق للجميع، وتبادل الأفكار والمعلومات من حقوق الإنسان، ولكن مع حفظ الحقوق الفكرية لأصحابها، وللأسف حقوق الملكية الفكرية في "بلاد العرب أوطاني" لم تترسخ كثقافة وممارسة حتى الآن!

ولو أن المقام يتسع، فإن العبد لله يستطيع أن يكتب حول هذا الأمر العديد من الكتب، وليس بضع مقالات فقط، ولي في هذا الباب قصص كثيرة تستحق أن تُروى، وقد تعرّضت لسرقات كثيرة؛ بعضهم كان يأخذ المقال أو التحليل الذي كتبته ونشرته، ويغيّر في عنوانه ويكتب: خاص لصحيفة كذا، أو "خاص وحصري لموقع كذا"!!

والغريب أنه يسرق جهدك "عيني عينك"، ويزيد قهرك ويكتب "خاص" أو "حصري"، يعني سارق، ومع هذا يتصرف بوقاحة وصفاقة غريبة!!

وبعضهم كما حدث مع صحيفة تونسية نقلت تحليلًا لي من صحيفة "رأي اليوم"، ونشرته باسم "باحث في الشأن الإيراني"!!

طيب من هذا الباحث؟ وما اسمه؟!

الله أعلم!!

حزر فزر!

هاه! حزرت أو لم تستطع؟!

وقصص كثيرة لا يتسع لها المقام، أسوأها الذي "يلطش" المقال وفق قاعدة "ثلثين وثلث"، فيلطش نصفه أو ثلثيه الذي أعجبه، ويترك لك الباقي الذي فيه رأيك أو نقدك لجهة، في قسمة ضيزى غريبة بعيدة عن أخلاقيات الصحافة!!

الكثير منا لا يدرك أن هذا الأمر إن حدث في دول العالم التي فيها دولة تصون الحقوق والحريات، فإن الكاتب يستطيع رفع دعوى قضائية، وتغريم ذلك الشخص أو تلك الصحيفة أو الموقع الملايين، أو إغلاقها، وعندنا تأتي تتحدث في هذا الأمر، فيرد عليك أحدهم:

– "قد سرقوا بلادًا، ونهبوا وطنًا، وأنت تتحدث عن مقال أو منشور"!!

وهو مبرر غير صحيح، فكون أن أوطاننا سُرقت، لا يبرر لنا أن نسرق بعضنا، وأن نغمط الناس حقهم، وإلا فما الفرق بيننا وبين من سرق الوطن ونهب البلاد؟!

الفرق برأيي أننا نهبنا اللي نقدر عليه، ولطشنا ما استطعنا، وهم نهبوا الذي قدروا عليه، وفي النهاية كله نهب، واحد نهب مليون ريال، وآخر لطش المقال، وكله في النهاية حق الناس!

قد أكون بالغت في الأمر، ولكني أجدها ظاهرة يجب أن تتوقف، وأن نحترم الحقوق الفكرية والعلمية للآخرين، ولن يضيرنا أن نشرنا ما أعجبنا وأشرنا إلى مصدره، بالعكس هذه هي الأمانة العلمية والموضوعية والمهنية.

بالمناسبة أخاف أنشر هذا المقال وأجده منشورًا في بعض الصفحات والمجموعات وبدون اسمي، وإنما أجده منشورًا ومكتوبًا في آخره عبارة: «منقول»!!

الذاكرة والحنين للماضي

تشبه النوستالجيا ذلك القرص الصلب الذي يحفظ سيرورتنا الماضية بكل ما فيها من آلام وسعادة، لتلهمنا على الدوام سرديات مشوقة، ونصوصًا مدهشة، ووقفات جادة مع الذات والأحداث، ومراجعات مثمرة، في كثير من الأحيان أعود إلى ماضي طفولتي وشبابي، لأتذكر مواقف وأحداثًا تصلح نواة لقصص طريفة فيها دلالات وإسقاطات على الواقع اليوم، ولكنني صرت مؤخرًا أدرك مدى وطأة الذاكرة، وأرغب في التخفف من ثقلها المؤرق، إذ أخشى في رحلة استلهام أعمال أدبية الانجراف في النوستالجيا، لتتحول إلى استنزاف مفرط للذات في الوقوف الباكي على أطلال ذاكرة، لا ينتج عنها –في حالتي الخاصة– سوى تخريب متواصل لحاضر يتلاشى في المعاناة اليومية، نتيجة نوستالجيا تحاصرني دون رحمة، وكأنها تدفعني لمحاولة إعادة اللبن المسكوب في قارعة طرقات مرحلة ولّت، وأحداث مضت، إذ من المستحيل إعادة عجلة الزمن إلى الوراء لإعادة تشكيل هذه الحياة بكل انكساراتها وانتصاراتها من جديد، ووفق فهم حاضر مغاير!

في أحايين كثيرة أتمنى أن أنام معذبًا بهذه النوستالجيا، وأصحو على ذاكرة مثقوبة تساقطت فيها كل أحداث طفولتي وشبابي، بحلوها ومرها، لكنني لم أصل بعد إلى قناعة راسخة بأن النوستالجيا محض زيف تراكم، يجب حذفه دفعة واحدة، إذ كثيرًا ما أجد بين كراكيبي القديمة أشياء تستحق أن نمسح عنها غبار الزمن، ونعيد صياغتها، لتتألق وتنير وتنال الإعجاب والتفاعل.

أحيانًا أتجاوز بتفكيري عن الحنين إلى الماضي وعذابات الذاكرة إلى فكرة عكسية تراودني كثيرًا مؤخرًا، وهي فكرة كتابة رواية عن رجل فقد ذاكرته نتيجة حادث، وفي أثناء سفره خارج وطنه، وفقد في الحادث كل أوراقه الثبوتية، من جواز سفر وبطاقة وهاتف وكل ما يمتّ إلى حياته السابقة بصلة، وبعد علاجه لم يتمكن من استعادة ذاكرته.. أتخيله يبدأ حياة جديدة، وأتساءل: كيف سيبدأ من جديد؟!

أفكر بكتابة رواية كهذه، وأتوه في التفاصيل، وأحيانًا أتخيل نفسي وقد وقعت أنا شخصيًّا في هذا الحادث، وفقدت ذاكرتي تمامًا، وأسأل نفسي: ماذا سأفعل لو قدر الله لي هذا الحادث –لا سمح الله–؟ وهل سأفقد أيضًا كل ما اكتسبته من علوم ومعارف وفهم للحياة والعالم من حولي؟ وأعود بعقل طفل بجسم كبير وفهمه؟!

وفي حالة كهذه، فما الذي سوف أفعله؟ وكيف سأبدأ؟ وهل سأدرس من الصف الأول الابتدائي مثل بقية الأطفال؟!

لا شك في أن المختصين لديهم إجابات لكل هذه التساؤلات.

مؤكَّد أن رواية مثيرة كهذه هناك مَن قد فكر فيها وكتبها، ولو باللغات الأخرى، ومن المؤكد أنها قد صدرت في هيئة رواية، أو على شكل فيلم أو مسلسل، لكنني لم أقرأها بعد، ولم أشاهدها كذلك.

بحسب ما قرأت فقد بدأت النوستالجيا في أروقة الطب النفسي، ثم تطورت لتغدو حالة شاعرية، وهي رحلة تستدعي التوقف والتأمل، فلو أجرينا مسحًا شاملًا لسرديات ونصوص الآلاف من المبدعين، سنجد أن النوستالجيا شكلت المنبع الذي غرفوا منه قصصًا وروايات ومذكرات، وأبدعوا من خلالها الكثير من إنتاجهم الأدبي والفني، فهي تشكل ما يشبه الهياكل في إنتاجهم، وقد أضافوا إليها الرتوش والمحسنات التي اكتسبوها في رحلتهم المعرفية.

النوستالجيا لا غنى عنها، ولكن الخشية من أن يزيد الأمر عن حدّه، ويتحول من حالة إبداعية تلهم سرديات ممتعة، ونصوصًا مشوقة، إلى حالة نفسية، وعذاب للذات لا مبرر له، خاصة إذا كان في ماضينا

أحداث مؤلمة وجوانب معتمة، حيث عشنا الكثير من الظلم والقهر والمعاناة.

لست مع إلصاق النوستالجيا بمرحلة زمنية معينة، إذ هي حالة تتجاوز التزمين، مع أن البعض يربطها بجيل نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات أكثر من غيرهم، لكنَّ طرحًا كهذا لم يقنعني؛ فأنا من جيل بداية الثمانيات، وأرى الحنين إلى الماضي يجرفني أحيانًا إلى استذكار أحداث ومواقف لا حصر لها، وأضحك، وأتنهد، وأتألم، وأتأمل، ثم أدور في فلك مراجعات لم تكتمل، بعد ذلك تتلاشى هذه النوستالجيا بالتركيز قليلًا في واقعي اليومي، وكأنها لعبة مدّ وجزر، وشدّ وجذب!

يمكن القول إن جيل ما بعد الثمانينيات صار منشغلًا بواقع مغرق في ماديته، حيث ترسخت النزعات المادية الاستهلاكية والبرجماتية، وتقلصت مساحة الروح والقيم، لكنّ هذا لا يعني أن أجيال التسعينيات وبداية الألفية الثالثة محصنون من زوابع الذاكرة، أو أنهم لا يعيشون نوستالجيا من أي نوع، فقد كان في التسعينيات وبداية الألفية الجديدة نمط حياة لا تخلو من البساطة المحببة، وكان هناك الكثير من السلوكيات والمنتجات التي انقرضت، ويُعاد تصويرها اليوم بنوستالجيا لا يُمكن تجاهلها.

الإشكالية الحقيقية أن النوستالجيا، وخاصة حين تتمدد في فراغات الحاضر وغياب المشاريع الشخصية، والتنظيم الدقيق للوقت والحرص على الإنجاز، تتحول إلى كابوس حقيقي قد يقود البعض إلى عيادات الطب النفسي، وهذا يؤكد مدى تقارب النوستالجيا في جانبي الإبداع والمرض النفسي، إذ لا يفصل بينهما سوى حائط قد يقويه من يعرف ما يريد ويدرك هدفه الحياتي، فيحوّل ماضيه إلى ملهم للإبداع، وليس عذابًا للذات وجلدًا للنفس. ولأن الله –سبحانه وتعالى– هو من خلق الإنسان، ومن أقسم بالنفس البشرية، فقد جعل باب التوبة مفتوحًا، ويسّره وحثّ عليه، لأن التوبة والمغفرة تزيل كوابيس الذاكرة، وتبرز جوانبها الإيجابية، وتحولها إلى طاقة حياتية ودروس يمكن الاستفادة منها في تصحيح الأخطاء، والارتقاء بالسلوكيات، واكتساب المهارات والمعلومات، بدلًا من الفرار من ذكريات الماضي وآلامه، وما فيه من سيئات ومعاناة.

ختامًا.. نحن نحتاج إلى طريقة مُثلى لاستثمار النوستالجيا، والتعامل الأمثل مع الذاكرة، وإبراز جوانب ماضينا الإيجابية، لتتحول إلى أحداث ومواقف تلهمنا الإبداع والدروس العبر، ونغترف منها السرديات المدهشة، والنصوص الإبداعية الرائعة.
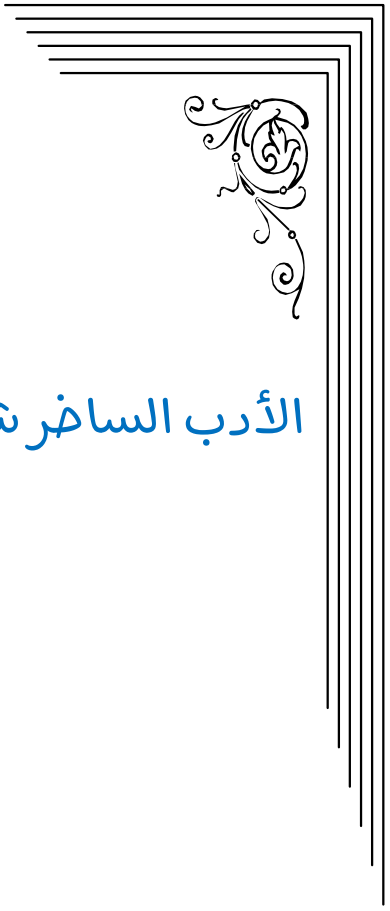
الأدب الساخر شخصيات ونماذج

رائد الكتابة الساخرة في العالم العربي

يُعتبر الكاتب الراحل/ محمود السعدني –رحمه الله– رائد الصحافة الساخرة والأدب الساخر في العالم العربي، كُتبه التي تصل إلى 70 كتابًا، لا تمل منها، بعض كتبه قرأتها عدة مرات لروعتها، وبعضها كنت أتوقف عن قراءتها لأنها تصيبني بضحك هستيري، وخشية أن اتَّهَمَ بالجنون كنت أتوقف عن القراءة.

الكاتب الراحل/ محمود السعدني –رحمه الله– هو الأخ الأكبر للممثل المعروف/ صلاح السعدني، الشهير بلقب "العمدة"، وشقيقه الآخر/ عزت السعدني، ناقد معروف، وقد كان يتفاخر أنه من أصل يمني، وأن جده الأول عثمان هاجر من اليمن إلى مصر بعد الفتح الإسلامي لمصر.

يقول السعدني في مقابلة أجراها الأديب الكويتي الراحل/ محمد مساعد الصالح، ونشرتها مجلة "العربي" الكويتية العدد (426) ردًّا على سؤال:

– أين لحقت "ال" التعريف بـ "سعدني"؟ وما هو أصلك؟ بمعنى: أين جذورك الأولى؟

– محمود السعدني: أولًا، الأصل يمني، ولمعلوماتك، فهناك "السعدني" في فلسطين، و"السعدني" في المغرب، وفي ليبيا، وفي "الشام" وأيضًا في مصر، حينما ذهبت إلى اليمن قيل لي "توجد قبيلة السعدني هنا"، وكان ذلك عندما ذهب الجيش المصري إلى هناك، وبعد معرفتهم رغبتي بالتعرف إلى الجذور، اصطحبوني في سيارة "جيب" عسكرية إلى بلدة تبعد عن صنعاء حوالي عشرين كيلومترًا، والتقيت "أقربائي" واقفين، وكانوا حوالي ألف فرد، يحمل كل منهم سلاحه، وعند وصولي أطلقوا النار في الهواء احتفاءً بقريبهم.. الذي هو أنا، ولأنهم رأوا معي سجائر فقد اعتبروني غنيًّا! فقلت للعقيد الذي يرافقني وهو "محمد عبد الله": حوّد، حوّد.. هم سيأخذون "الجاكيت" الذي ألبسه.. وهو الوحيد الذي أملكه! [1]

ويروي الكاتب الساخر/ محمود السعدني –رحمه الله– في كتابه "بلاد تشيل وبلاد تحط" أن الرئيس اليمني/ عبد الله السلال –رحمه الله– كان من أشد المعجبين بالممثل المصري الشهير/ إسماعيل ياسين، واستضافه لليمن عدة مرات، وكان يتنقل بطائرة هيلوكوبتر، وأنه كان ذات مرة كان مع إسماعيل ياسين في مدينة إب اليمنية الشهيرة بجوها الرائع وبالخضرة

[1] للتوسع: مجلة "العربي" العدد (426) – مايو 1994م على هذا الرابط:
https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/3713

وجمال الطبيعة، وكان السعدني مبهورًا بجو إب الأخضر فقال محمود السعدني لإسماعيل ياسين:

– شوف الجو والخضرة، دي سويسرا.

فرد عليه إسماعيل ياسين بضيق وتهكم:

– دي سويسخا وضحك.

ويضيف السعدني: "كان إسماعيل ياسين متضايقًا، ويريد السفر من اليمن، وكان يعجبه أن يذهب إلى الكويت، أما اليمن فلم تكن تعجبه رغم احتفاء السلال به".

وقد تحدث السعدني عن اليمن كثيرًا في مذكراته وكتبه التي كتبها عن الرحلات التي قام بها إلى بلدان عديدة، ومنها اليمن التي زارها عدة مرات، ثم ألّف كتابًا عنها بعنوان "الطريق إلى اليمن"، ولكن هذا الكتاب يُعد اليوم في عداد الكتب المفقودة، إذ نفذت نسخه، ولم يُطْبَعْ طبعة جديدة، بخلاف بقية كتبه، ولكن من سيقرأ كُتب السعدني، ويجمع المادة التي كتبها عن اليمن ومشاهداته فيها، وحديثه عن شخصياتها وأحداثها، فسيخرج بكتاب كبير تزيد صفحاته على 300 صفحة في

تقديري، ولا أقول هذا جزافًا، ولكنني أقوله بعد أن قرأت الكثير من كتبه ومذكراته.

ويروي الكاتب الساخر محمود السعدني –رحمه الله– في مذكراته أن الصحافة تسببت في دخوله السجن مرارًا، فبعد خروجه منه في عهد عبد الناصر، قرر أن يصاحب وزير الداخلية حينها، حتى يضمن ألا يدخل السجن مرة أخرى، لكن بعد سنوات وجد نفسه في السجن من جديد، ومسجونًا معه وزير الداخلية نفسه!

وذلك بعد حركة التصحيح التي أجراها السادات.

يروي الكاتب محمود السعدني بعض المواقف والطرائف والقصص في أثناء عمله في الصحافة فيقول:

لقد عرفت واحدًا من أشهر الكتّاب الساخرين في مصر والعالم العربي، وكنت من المعجبين به وبكتاباته، وهو "أحمد الألفي عطية"، وحينما تعرف إليّ أخذ يتودد ويطرح إمكان أن "نتعاون معًا" (!)، فعلمت أنه كسلان ويريد من يكتب له. ولما ترك "أخبار اليوم" حيث كان يكتب، تعاقدت معه "دار الهلال" للكتابة لها وبمبلغ كبير جدًّا، فكتب.. وبعد ثمانية أسابيع اكتُشف الكاتب الحقيقي ففصلوه.. فرفع قضية عليهم،

بموجب العقد الموقع، فحكم القاضي لصالحه.. ثم رُفعت قضية عليه من قبل الكاتب الحقيقي "فتحي الرملي".. وطبعا فتحي الرملي مغمور، في حين كان الألفي مشهورًا جدًّا، تصوّر أنه كان يكتب إلى جانب مصطفى أمين وعلي أمين وكامل الشناوي ومأمون الشناوي في "أخبار اليوم"، وهذا لأنه كان غنيًّا وله مزارع موز.. من هنا حتى أبو ظبي!، ثم إنه كان من عائلة "الألفي".. مصطفى أمين كان يحب أمثال "صاحبنا"، يحب النجوم الفارغين، بمعنى أن ذلك الكاتب الساخر كان يجد من يكتب له.. ويصنع مجده.. ألم تسمع بما حصل أخيرًا؟ صاحب جريدة في لندن نشرت باسمه مقالة رائعة، فاتصل به أصدقاؤه ومعارفه ليثنوا عليه، وعلى آرائه "العظيمة"، فقال لهم: "لا تؤاخذوني فأنا حتى الآن لم أقرأها" (!).

وقد كان لي صديق رائع ومثقف في لبنان اسمه "هشام أبو ظهر"، أصدر صحيفة لم تبع أكثر من 150 نسخة، وعندما تُوفي في "عز شبابه" استلم مكانه أخوه وليد الذي كان يعمل كندرجيًّا "جزمجيًّا"، تصوّر أصبح بليونيرًا، وأصدر عشر مجلات، وقد فاوضني أن أكتب عنده، فقلت له: يا وليد.. أنت الرجل الذي أثبت أن الصحفي أصله جزمجي!

ويضيف السعدني: أول صحيفة أصدرتها في حياتي كانت "السحاب" في القاهرة، كنت أنا وطوغان، وعلي جمال الدين طاهر، أصدرنا ثلاثة آلاف نسخة أيام الملك، وكان المرتجع ثلاثة آلاف وأربعمائة، ولم تكن الجريدة ساخرة، بل على العكس، كانت تحوي افتتاحيات ومقالات، كنا شبابًا لديه طموح.

ومما أذكره من تلك الأيام أنني قابلت الأستاذ "التابعي" وكان أهم صحفي مصري وعربي، ولا يزال كذلك رغم مُضي فترة طويلة على وفاته، إنه أعظم من خطّ حرفًا على ورق الجرائد، لقيته بالمصادفة وطلبت مقابلته، وكان ساخرًا وعظيمًا وأنيقًا وغنيًّا ومشهورًا، قال لي: تعالَ إلى بيتي. وحين ذهبت إلى البيت ردني البواب إلى المكتب.

طبعًا لم أذهب إلى المكتب، بل أخرجت ورقة من جيبي وكتبت له قائلًا: "يا تابعي إن لي قلمًا كقلمك، لكنه أروع وأرفق، وعندما يحين الوقت المناسب سأنشر قصة الذين يسكنون الزمالك ويكتبون عن آلام الناس.."

بعد سبعة عشر عامًا، وبعد أن توطدت المعرفة بيننا، ذكرته بهذه الحكاية، فقال: لست أنا!!

وبعد ذلك، أصدرنا "الأسبوع"، واشترك معنا لأول مرة "صلاح جاهين"، وكانت تجربته الأولى، حيث بدأ برسم الإعلانات.

وفي عام 1948 أيام حرب فلسطين، كانت الرقابة تقوم بعمل "اللازم " فتخرج الصحف، وبها من الصفحات البيضاء "الممسوحة" أكثر مما بها من الصفحات المكتوبة.

المهم أننا أقفلنا المجلة بعد أن هربنا من صاحب المطبعة، فقد كنا مدينين له بمبلغ "7" جنيهات!

وفي عام 1956 أُتيح لي أن أصدر صحيفة "الجمهورية" لسان جمال عبد الناصر، طبعة بيروت، وكان ذلك أثناء العدوان الثلاثي على مصر، هذه الصحيفة انتشرت وبيعت كثيرًا، وكنا نلجأ إلى أساليب عجيبة، مثلًا: حديث بالتليفون مع عبد الناصر!! وطبعًا لم يكن يوجد عندنا تليفون. أو مثلا: القاهرة – حديث مع عبد الحكيم عامر!!

ثم نحضر صورة لأي إنجليزي ونكتب: حديث مع الجنرال "فلان" الذي وقع أسيرًا في يد القوات المصرية، وبقينا كذلك حتى آخر تخريفة "!" والتي أُقفلت الصحيفة بسببها، فقد كتبنا تحت عنوان "حديث مع ماوتسي تونج": مليون جندي صيني في طريقهم إلى مصر لرد العدوان..

فجاءنا ممثل وكالة "تاس" السوفييتية، وسألنا: كيف تنشرون هذا الحديث؟ فقلت له: إنه مراسلنا في.. "!!"

والمهم صدر قرار من عبد الناصر بإغلاق الجريدة.

وجاءنا رجل يدعى "محمد عزت" وكان يعمل مندوب إعلانات في الجريدة.. وحينما أُغلقت الجريدة اتضح أن "عم محمد" هذا ما هو إلا مسئول المخابرات المصرية في عموم الشرق الأوسط!! وتصوّر.. كان جميع السفراء يخافون منه.. وأنا أرسله ليحضر لنا "الأشياء"!!

الأستاذ عبد الملك الشيباني.. رائد الكتابة الساخرة

إذا كان الكاتب الراحل محمود السعدني –رحمه الله– هو رائد الكتابة الساخرة في العالم العربي، فإنني أرى أن الأستاذ والمؤرخ الراحل/ عبد الملك الشيباني –رحمة الله تغشاه–، هو رائد الكتابة الساخرة في اليمن، وقد تجاوزت السخرية لدى أستاذنا الشيباني إلى أحاديثه في مقيله ومع رفاقه وتلاميذه، فقد كانت له روح مرحة وأحاديث فكاهية، فلا تمل من حديثه...

- مفكر كبير لم ينل حقه

يُعد الأستاذ عبد الملك الشيباني –رحمه الله– (1957– 2013م) من أبرز المفكرين والمؤرخين اليمنيين الذين أحبوا التأريخ، تأريخ اليمن والعالم العربي والإسلامي، تجلس معه في مقيل أو في محاضرة أو تشاهده في التلفزيون، فيطوف بك في أجواء من المتعة، بأسلوبه الرائع، وسرده المشوق، وبالقصص والطرائف والفكاهات والعبر والدروس التي يضمنها

حديثه، فتخرج منه بحصاد وافر، ويمر بك الوقت سريعًا وأنت مع الأستاذ، فلا تحب أن يتوقف حديثه الذي ينساب كشلال عذب، ويتدفق كعسل مصفًّى.

الأستاذ عبد الملك الشيباني من بني شيبه بالحجرية بتعز، درس مطلع حياته في عدن، وتأثر بالناصريين، ثم جذبه الأستاذ عبده محمد المخلافي لصفوف الإخوان بعد سماعه خطبة له بتعز، لكنه ظل قريبًا من الجميع، صديقًا للكل، بعيدًا عن التعصب، ينتقد حزبه قبل الآخرين.

تخرّج من جامعة صنعاء عام 1977م، ثم عمل بعدها في سلك التدريس والتوجيه، ثم أدار صحيفة "الصحوة" لفترة، ثم تفرغ بعد ذلك للعمل الفكري والتربوي، فطاف الكثير من قرى اليمن ومناطقه يحاضر ويخطب، ويلتقي بالمثقفين ويتحدث إليهم، ومع هذا لم تنقطع كتاباته الصحفية، وإسهاماته الأدبية، وعطاءاته الفكرية.

- **الابتسامة الدائمة والروح الشبابية**

كان الأستاذ عبد الملك الشيباني من المفكرين الذين امتلكوا ابتسامة دائمة وروحًا شبابية رائعة، فكان دائم الحضور والمساهمة في النوادي الرياضية والروابط الأدبية والثقافية في مدينة تعز، مثل رابطة "طيف"، وكان –رحمه الله– من الدعاة الذين اختلطوا بواقع الناس في اليمن وبلدان عديدة، مثل الهند، ودول القرن الأفريقي، كالصومال والحبشة، وحفظوا أمثالهم وعاداتهم الشعبية، ولذا كان يضمِّن كتاباته ومحاضراته ومجالسه بقصص ونوادر وأمثال وفكاهات، وكان عموده في أسبوعية الصحوة "نفثات اليراع"، الذي ظل يكتبه لمدة تزيد عن ربع قرن، من أكثر الكتابات قراءة وتأثيرًا، لأسلوبه الساخر، وطرحه الرائع.

- **جهود في كتابة التاريخ اليمني**

اهتم الأستاذ عبد الملك الشيباني بالتاريخ الإسلامي، وبمكانة اليمن في التأريخ الإسلامي، وقد سجل حلقات تلفزيونية بثتها قناة "يمن شباب"، لكنه كان بحرًا لم يُستَفَدْ منه كما ينبغي.

تأثّر الأستاذ/ عبد الملك الشيباني بالأستاذ المؤسس/ عبده محمد المخلافي، وألّف عنه كتابه "شهيد القرآن. سيرة حياة (عبده محمد المخلافي)." رغم أنه ذهب إلى سماع خطبة عبده محمد المخلافي، ليرى فقط ما هي بضاعة هذا الرجل؟ ولماذا يهاجم جمال عبد الناصر في خطبه؟

وكان مقصده أن يرد عليه ويفند أفكاره (الرجعية) المتحاملة على القوميين واليساريين والتقدميين، فإذا به يجذبه إلى الإخوان!

- جهود كبيرة في المجال التعليمي

كانت له جهود متميزة في إعداد المناهج الدراسية في اليمن، فقد كان سكرتير قطاع المناهج في الهيئة العامة للمعاهد في العام 1979م، ثم تولى رئاسة لجنة التاريخ والسيرة والتربية الاجتماعية في وزارة التربية والتعليم، والهيئة العامة للمعاهد العلمية.

يُنسب له تقديمه للتاريخ على أساس صحيح منقّى من الشوائب الفكرية التي أحاطت بكتابة تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وخاصة في مرحلة التواجد العثماني في اليمن.

مثلما للأستاذ عبد الملك الشيباني كتب عديدة في التأريخ وعن العلم والعلماء، فله أيضًا مسرحيات هادفة، ومن أشهر كتبه: (اليمن ومكانتها في السنة النبوية) و(الظهور الإسلامي فجر دائم وشروق مستمر).

رحم الله الأستاذ عبد الملك الشيباني رحمة واسعة.

الدكتور كمال البعداني.. وروعة الكتابة الساخرة

في اليمن هناك العديد من الكُتّاب الذين تميزوا بسحر الأسلوب وروعة الطرح، وجمال اللغة ووضوح الفكرة، لكن كتابات الدكتور كمال البعداني الساخرة تُعَدُّ نسيجًا وحدها، لقد حباه الله بهذه الموهبة المتفردة والروح الساخرة التي تجعلك وأنت تقرأ له تضحك من أعماق قلبك، ثم تسلم بما يطرح، وتصل إليك الرسالة مفعمة الأسى والألم على واقعنا الذي صار الضحك فيه ضحكًا كالبكاء!

للدكتور كمال البعداني قلم متمكن يعالج قضايا اليمن، وينتقد مواقف الساسة والنخبة بتلك السخرية اللاذعة المحببة.. مقالاته قوية مدهشة، يمتلك سرعة بديهة، وقوة ذاكرة جعلت مقالاته علامات لا تُنسى، وجعلت له هذا الجمهور الكبير.

لقد رزقه الله موهبة الكتابة الساخرة، فوضعها في مكانها المناسب، ودومًا ما يثلج صدور قرّائه، ويطرفهم بردوده القوية على المسؤولين، وعلى الذين يتطاولون على اليمن من الأعراب، فيعيدهم إلى وضعهم كأقزام.

تقرأ له وتستمتع، فالمرارات تحلو بسخريته وفكاهاته التي جعلته الكاتب الأكثر شهرة وتميزًا في هذا المجال.

الكتابة الساخرة مجال كبير، له رواده وكتابه وجمهوره الواسع، ولكنه في اليمن نادر جدًّا، وكُتابه يُعدون بالأصابع، أبرزهم الدكتور البعداني.

والكتابة الساخرة ليست تهكمًا على الأشخاص وسخرية من أشخاصهم، بقدر ما هي أدب رفيع راقٍ يتناول مواقفهم الخاطئة، ويسخر من فسادهم واعوجاجهم.

وإذا كان الكاتب الراحل محمود السعدني -رحمه الله- هو برأيي رائد الكتابة الساخرة في العالم العربي، فإن الأستاذ والمؤرخ الراحل عبد الملك الشيباني -رحمة الله تغشاه- هو رائد الكتابة الساخرة في اليمن، وقد تجاوزت السخرية لدى أستاذنا الشيباني كتاباته إلى أحاديثه في مقيله ومع رفاقه وتلاميذه، فقد كانت له روح مرحة وأحاديث فكاهية، فلا تمل من حديثه.

وبعد رحيل الكاتب والمؤرخ عبد الملك الشيباني، حمل الدكتور كمال البعداني راية الكتابة الساخرة في اليمن بكل قوة واقتدار.

بارك الله بجهود الدكتور كمال البعداني، وسدد قلمه الذي يذكرنا بـ "المدفع الأصفر"، أكبر مدفع يمني في الماضي، إذ تتشابه قذائف قلم الدكتور كمال البعداني مع قذائف ذلك المدفع الشهير في القوة والتأثير، ولذا فإن من استهدفه بقلمه الساخر وأطلق عليه قذائفه اللاذعة اللاسعة، فإنه لا تقوم له قائمة.

عن قصصي الساخرة

صدرت في مطلع يونيو 2021م مجموعة قصصية، هي أول مجموعة قصصية ساخرة تصدر –على حد علمي– في اليمن بعد سنوات الحرب العجاف، والتي أدت إلى شلل النشاط الإبداعي في اليمن إلا ما ندر.

المجموعة القصصية التي صدرت كانت بعنوان "عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر!"، وقد احتوت على 23 قصة من القصص القصيرة الساخرة، وهو لون نادر في اليمن، فلم يتميز في هذا المجال إلا قلة قليلة، منهم الأديب الساخر عبد الكريم الرازحي، والروائي محمود ياسين، والكاتب السياسي د. كمال البعداني، والكاتب فكري قاسم.

وبرأيي فإن القصص الساخرة تبدو مثل واحة وارفة في هجير من التصحر الإبداعي في اليمن، إذ تأخذ القارئ إلى عوالم من الضحك والمتعة والسخرية اللاذعة، والتي لا تخلو من دلالات ورسائل.

لقد رأى النقاد فيها قصصًا مضحكة وساخرة بأسلوب مشوق، وسرد رائع، ولغة رشيقة، تذكِّر القارئ بالزمن الذهبي للقصة القصيرة في اليمن،

والتي تميزت بأقلام نخبة من المبدعين أمثال عبد الله سالم باوزير، وزيد مطيع دماج، وصالح باعامر، ومحمد الغربي عمران، وغيرهم.

هذه المجموعة القصصية صدرت على طريقة النشر الإلكتروني pdf، وليس بطبعة ورقية، ولهذا الأمر قصة أيضًا، فمنذ سنوات حاولتُ إصدار مجموعة قصصية لي بنسخة ورقية، وبغلاف فاخر، ورسوم مصاحبة للقصص، وبطبعة أنيقة، وبمقدمة يكتبها ناقد معروف، ولكن هذا الحلم الذي انتظرته لسنوات، وإن كان قد اقترب مؤخرًا وأصبح قاب قوسين أو أدنى، فإنه تلاشى مثل غيمة بعد مطر.

حينها تواصلت مع دور نشر في الداخل اليمني، وفي مصر، ولبنان، وفي كل مرة كانوا يُعجَبون بالقصص، ويقرونها للنشر، ثم يطلبون مني أن أساهم بدفع مبلغ مالي بالدولار، وذلك لطباعة ألف نسخة من المجموعة، على أن يرسلوا لي 200 نسخة منها فقط، ويبيعوا الـ 800 نسخة، إضافة إلى أنني سأتكفل بتكاليف النقل إلى اليمن، فأنا في النهاية قاصٌّ جديد، ليس لي إصدار قصصي في السوق، صحيح أنني قد نشرت العشرات من القصص في الصحف والمواقع الإخبارية، وصحيح أنني أكتب وأنشر منذ عقدين من الزمن، ولكن كل هذا لم يشفع لي لدى دور النشر، وحين جمعت المبلغ المطلوب بصعوبة،

فوجئت بهم يرفعون المبلغ إلى ما يقارب الضعف، وأضافوا إليه تكاليف التصحيح اللغوي، والرسوم المصاحبة، وتصميم الغلاف والمقدمة التي سيكتبها ناقد أو قاص معروف، فأُصبت حينها بالإحباط، وقررت نشر هذه المجموعة على النت بشكل إلكتروني، على هيئة **pdf**، على أن أواصل التواصل مع دور النشر بعد ذلك، لعلها تتفاعل وتطبع النسخة الورقية منها بتكاليف معقولة.

اليوم عليّ أن أوجه الشكر لدار نشر "بسمة للنشر الإلكتروني"، هذه الدار من أروع دور النشر التي تشجع المبدع وتدعمه، وبتكاليف رمزية جدًّا.

لقد كانت هذه المجموعة هي التجربة الأولى في مجال النشر الإلكتروني، وقد لقيت قبولًا لا بأس به من القارئ اليمني، وكذلك القارئ العربي، بعد نشرها في المكتبات الإلكترونية خارج اليمن أمثال "مكتبة نور" و"فولة بوك" و"**ktab.it**"، وغيرها.

قصة طريفة من الأدب الساخر

يروي الأديب الساخر إبراهيم المازني –رحمه الله–، وهو كاتب عرف بسخريته اللاذعة، كما تميزت كتاباته بالطرافة، وتفردت بالأسلوب اللغوي البلاغي البديع، وقد مثل كتابه "صندوق الدنيا" عند صدوره نقلة نوعية في الأدب الساخر، وفي " صندوق الدنيا" يروي المازني قصة طريفة حملت عنوان "حلاق القرية"، سأنقلها هنا باعتبارها من أروع القصص الساخرة:

وقعت لي هذه الحادثة في الريف منذ سنوات عديدة، قبل أن تتغلغل المدنية إلى أنأى قراه، وكنت أنا الجاني على نفسي فيها، فقد عرض عليّ مضيفي أن أستعمل موساه فأبيت، وقلت ما دام للقرية حلاق فعليّ به، فحذّرني مضيفي وأنذرني ووعظني، ولكني ركبت رأسي وأصررت أن يجيء الحلاق.

ولما عيل صبري، سألته عن حلاق القرية، فابتسم ومشّط لحيته بكفه، وأنبأني أنّ الحلاق (محسوبي)، فلعنته في سري، فجاء بعد ساعات يحمل ما ظننته في أول الأمر (مخلاة شعير)، وسلّم وقعد، وشرع يحييني

ويحادثني، حتى شككت في أمره، واعتقدت أنّ الحلاق شخص آخر، وأنّ هذا الجالس أمامي ليس سوى (طلائعه).

ولما عيل صبري، سألته عن حلاق القرية، فابتسم ومشّط لحيته بكفه، وأنبأني أنّ الحلاق (محسوبي) يعني نفسه، فلعنته في سري، وسألته متى ينوي أن يحلق لي لحيتي؟ أم لا بد أن يضرب بالرمل والحصى أولًا ويحسب الطالع قبل أن يباشر العمل؟

فلم يفهم وأولاني صدغًا كث الشعر، وقال: "هيا"، فظننته أصم، وصحت به: (أ.. ر.. يد أن.. أ.. ح. ل. ق). فسرّه صياحي جدًّا، وضحك كثيرًا، وأقبل على (مخلاته) فأخرج منها مقصًّا كبيرًا جدًّا، فدنوت من أذنه وسألته:

– هل في القرية فيل؟

فقال:

– فيل؟ لماذا؟

فأشرت إلى المقص، فضحك وقال:

– "هذا مقص حمير، ولا مؤاخذة".

فقلت:

"ولماذا تجيئني بمقص الحمير؟ أحِمارًا تراني؟!

ويظهر أنّ معاشرة الحمير بلّدت إحساسه، فإنه لم يعتذر لي، ولا عبئ بسؤالي شيئًا، ثم أخرج موسى من طراز المقص، و(مكنة) من هذا القبيل أيضًا، فعجبت له.. لماذا يجيء إليّ بكل أدوات الحمير؟

وسألته عن ذلك فقال: إن الله مع الصابرين.

وبعد أن أفرغ مخلاته كلها، انتقى أصغر الأدوات، وأصغرها أكبر ما رأيت في حياتي! ثم أقبل عليّ وقال: "تفضّل".

قلت: "ماذا تعني؟"

قال: "اجلس على الأرض".

قلت: "ولماذا بالله؟".

قال "ألا تريد أن تحلق؟".

قلت: "ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسي؟".

قال: "وأنا؟".

قلت في سري:

– وأنت تذهب إلى جهنم، ونعم المصير، وهبطت إلى الأرض كما أمر، ففتح موسى كالمبرد.

فقلت: إن وجهي ليس حديدًا يا هذا.

قال لا تخف –إن شاء الله–، ولكني خفت –بإذن الله–، ولا سيما حين شرع يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم" كأنما كنت خروفًا، ويبصق في كفه ويشحذ الموسى على بطن راحته، ثم جذب رأسي، فذعرت ونفرت، ووليت هاربًا إلى أقصى الغرفة.

فقال: ماذا؟

قلت: "ماذا؟ أتريد أن تحلق لي بمبرد، ومن غير صابون؟"

قال: "ماذا يخيفك؟"

قلت: يخيفني؟ لقد دعوتك لتحلق لي لحيتي، لا لتبرد لي شعرها.

قال "يا أفندي لا تخف"، ثم قرأ من الكتاب الكريم "فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى" إلى آخر الآية الكريمة، وأظنه أراد أن يرقيني بها، فيا لها من حلاقة لا تكون إلا برقية!

أهوى الرجل بموساه على وجهي فسلخ قطعة من جلدي فردني الألم إلى الحياة، وآتاني القوة الكافية للصراخ، وأسلمت أمري لله، وعدت فقعدت أمامه، فنهض على ركبتيه وتناول رأسي بين كفيه، وأمال صدغي إليه، ثم وضع ركبته على فخذي، ولفّ ذراعه حول عنقي، فصار فمي مدفونًا في صدره، فصحت، أو على الأصح جاهدت أريد الصياح لعلّ أحدًا يسمعني فينجدني، غير أن طيات ثوبه كانت في فمي، أما رائحة الثوب فبحسب القارئ أن يعلم أنها أفقدتني الوعي.

ولا أطيل على القارئ.

فقد أهوى الرجل بموساه على وجهي، فسلخ قطعة من جلدي، فردني الألم إلى الحياة، وآتاني القوة الكافية للصراخ على الرغم من الكمامة، ووثبت أريد الباب، ولكنه كان على كبر سنه أسرع مني، وما يدريني لعله كان يتوقع ذلك، وعسى أن يكون المران قد علمه أن يكون يقظًا لأمثال هذه المحاورات، فردني بقوة ساعده.

فتشهدت وتذكرت قول المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جبانًا

كلا.. سأسدل الستار على هذا المنظر الذي يقشعر منه جلدي على الرغم من كر السنين الطويلة.

ثم جاء هذا السفاح بطشت يغرق فيه كبش، ووضعه تحت ذقني وصب ماءه على وجهي، وفي صدري وعلى ظهري، ليغسل الدم الذكي الذي أراقه، وأخرج من مخلاته (منشفة) هي بمسحة الأرض أشبه، فاعتذرت وأخرجت منديلي وسبقته به إلى وجهي، فهي معركة لا تزال بجلدي منها ندوب وآثار.

عن السينما والدراما نماذج وصناعة

رسالة مهمة في فيلم جاد

يُعد فيلم "محاكمة علي بابا"، بطولة يحيى الفخراني، وإسعاد يونس، من الأفلام المصرية القليلة الجادة، يطرح الفيلم بأسلوب ساخر فكرة في غاية الأهمية، وهي أن الكثير من المشاهير الذين صنعتهم السينما العالمية والإعلام في صوة الأبطال، ليسوا أبطالًا، وإنما سُوِّقُوا كأبطال لأهداف في غاية السوء.

يذهب الطفل الصغير إلى معلمته في المدرسة، فتحكي لهم قصة «علي بابا والأربعين حرامي»، فيسألها الطفل ببراءة:

– هل علي بابا حرامي؟

فتصرّ على أن «علي بابا» رجل طيب، وتطرد الطفل من المدرسة لكثرة أسئلته التي لم تجد لها الجواب؛ فهو بزعمها مزعج وأسئلته كثيرة ويريد أن يخرب القصة ويحرجها أمام الأطفال، فيكتشف الطفل أن اللص رجل طيب، فيقوم بسرقة نقود أخيه، فيمسك به أخوه ويقدمه لوالديه متلبسًا بالجرم، فيعترف الطفل، ويبرر ما فعله بما سمعه من المعلمة بالمدرسة!

يرتبك الوالد أمام أسئلة الطفل عن «علي بابا»، فـ«علي بابا» كل ما فعله هو أنه سرق اللصوص، فقد كان فقيرًا يعمل في جمع الأحطاب، وشاهد اللصوص الذين سطوا على أموال الفقراء وجمعوها في تلك المغارة، يدخلون بعد قولهم الكلمة السحرية: (افتح يا سمسم)، فينفتح الباب، وهي قصة طويلة تدور في بغداد، ومقتبسة من كتاب "ألف ليلة وليلة" الشهير، وخلاصة القصة أن «علي بابا» تمكن من الدخول إلى المغارة، وأخذ بعض الأموال، ليعرف شقيقه «قاسم» بقصة الكنز بعد أن استعار «علي بابا» منه الميزان ليزن الأموال التي أخذها من المغارة، ويعمل شقيقه كل الحيل ليعرف السر، فيدخل المغارة ليأخذ هو الآخر الأموال، لكنه ينسى كلمة "افتح يا سمسم"، ليخرج من المغارة، فيُحبس داخلها، ويأتي اللصوص ويجدونه فيها فيقلتونه.. إلخ.

والخلاصة أن «علي بابا» بدلًا من أن يعيد الأموال إلى أصحابها، أخذها.. فهو الآخر حرامي بنظر الطفل.

ولكي يقنع الوالد (يحيى الفخراني) الطفل أن «علي بابا» قد سلم الأموال إلى أصحابها، قرر أن يأتي هذا الأمر من قبل المدرسة، فسعى إلى إقناع إدارة المدرسة والمعلمة بأن ما لقنوه للطفل غلط، وأن عليهم القول للأطفال بأن «علي بابا» سلم الأموال إلى أصحابها، حتى لا

يسلكوا نفس هذا السلوك، فيسخروا منه ويرفضوا ما يطرحه، ويهددونه بطرد الطفل من المدرسة؛ فيخطط مع أمه ليثبتا للولد أن «علي بابا» قد تم القبض عليه، وهو في السجن، يذهب والد الطفل إلى قسم الشرطة ليطلب من الضابط أن يخبر الولد عندما يأتي بأنه قد قُبض على «علي بابا» وسُجن، يندهش الضباط من هذا الطلب الغريب، فيتّهم والد الطفل بالجنون ويُسجن!

يُقدَّم «علي بابا» للأطفال في برامج الكرتون والأفلام والقصص المصورة على أنه بطل عربي، فيتم تصوير اللص على أنه بطل ومغامر ونموذج يستحق الاقتداء به.

وحتى قصة "علاء الدين" الشهيرة، التي احتفت بها السينما العالمية، والتي تُقدم للأطفال في القصص المصورة والأفلام والمسلسلات بصفته بطلًا... هو شاب فاشل، كل ما فعله هو أنه دعك المصباح السحري، فجاءه المارد ولبى طلباته، وهي قصة أسطورية خيالية، تُعَلِّمُ الأطفال التواكل وانتظار المعجزة والمارد الذي لا يأتي، بدلًا من حثهم على العمل والإنجاز، وأنه لا مجْد إلا بالعمل والكدّ وسهر الليالي.

نحن بحاجة إلى أدب للطفل، وسينما هادفة، وبرامج وقصص جادة، تحث على القيم والمبادئ بأسلوب مشوق ورائع، وتغرس في أذهان الأطفال

المفاهيم والحقائق الصحيحة، بدلًا من ربطهم بهؤلاء الشخصيات التي رُوِّجَ لها لأسباب لا تخفى على القارئ الحصيف.

نحو سينما جادة في اليمن

في فترة الثمانينيات والتسعينيات كان الكثير من العلماء والدعاة يحرّمون التلفاز، وخصوصًا الصحون اللاقطة للقنوات الفضائية، وسمعنا وقرأنا الكثير من الخطب والمحاضرات عن مفاسد التلفاز، وحرمة إدخاله المنزل، وخطورته على الأسرة المسلمة، بل وصل الأمر ببعضهم إلى تحريم البلوتوث في الهاتف واعتباره "الخطر المدمر"!!

وظلت هذه قناعة أغلبهم، حتى تم إطلاق قناة "اقرأ" في 21 أكتوبر 1998م، كإعلام هادف، وبدأ العلماء والدعاة يظهرون فيها، وبدأت نظرتهم للتلفاز تتغير عندما وُجدت البدائل، ثم تتابعت القنوات الجادة والهادفة، وتغيرت النظرة لهذه الوسائل.

للأسف لقد نظروا حينها لهذه الوسائل الإعلامية بِناءً على ما يُبث فيها، وليس باعتبارها أوعية ووسائل يمكن أن تُستخدم في الخير أو في الشر، في البناء أو في الهدم، يمكن أن تُبثَّ فيها أغنية أو محاضرة دينية، قابلة لأن يُبثَّ فيها قرآن ونصائح، أو أفلام هابطة وكليبات غنائية خليعة!

للأسف الكثير من العلماء والدعاة إلى اليوم يفتقرون لثقافة البدائل والتغيير واستخدام الوسائل الإعلامية وتطويع الجديد لخدمة الدين والقِيَم، ولذا البعض منهم تجاوزهم الزمن، مثلًا قبل عقود كانت أشرطة الكاسيت للداعية السعودي علي بن عبد الخالق القرني تكتسح الكثير من أرجاء العالم الإسلامي، ولها جمهور كبير، ثم مضت تلك الفترة وتطورت الوسائل، واختفى الشيخ الذي يمتنع عن التصوير أو تسجيل حلقات في التلفزيون، ونساه الكثير من الناس، فلم يستطع الشيخ مواكبة المستجدات في المجال الإعلامي، ولو أن الشيخ يبيح التصوير، لنفع الله به الناس بشكل أكبر.

لقد دعوت منذ أكثر من 15 عامًا لإيجاد سينما هادفة وجادة، تعمل على ترسيخ القيم الحميدة، وتبث الأفكار الجادة، وضربت المثل بفيلمي المخرج الراحل/ مصطفى العقاد: "الرسالة" و"عمر المختار"، وهي أفلام لاقت تأثيرًا في الغرب، وانقسم حيالها العلماء والدعاة بين مادح ومتحفظ ومعارض، ولقد قرأت لأحدهم ما يشبه الدراسة المطولة التي حاول من خلالها إثبات أن هذه الأفلام ليست إسلامية، وتسيء للإسلام وللمسلمين، وفي الحقيقة هي أفلام جادة، وهناك ملاحظات عليها، ولكن وجودها أفضل من غيابها بألف مرة، ووجود عمل عالمي فيه رسالة وهدف ولنا عليه بعض الملاحظات، خير من غيابه.

لقد كتبت ودعوت حينها إلى سينما جادة وهادفة، فسخر مني كثيرون، بل رأى البعض أن السينما مستنقع للشر والرذيلة والفساد، وهو رأي ربما بُني على ما يعرض في السينما من أفلام فيها مشاهد العري والرقص وشرب الخمور والحث على الخيانة الزوجية وممارسة الرذائل وتشويه كل ما له صلة بالإسلام، ولكن هذا الواقع لا يعني حرمة استخدام هذه الوسيلة المهمة والفن المؤثر، فرُبّ لقطة في فيلم تؤثر في الناس أكثر من مئات الخطب والمواعظ والمحاضرات.

اليوم نحن بحاجة إلى جهات وطنية جادة تقتحم هذا المجال الحيوي المهم، وتنتج عشرات الأفلام، وتبث من خلالها رسالة وطنية وجادة وهادفة، خاصة ونحن نعيش هذه الظروف الصعبة والفترات العصيبة.

إضافة إلى أننا بحاجة من العلماء والفقهاء إلى دراسة جادة للفنون، لكي يخرجوا برؤية وباجتهاد جماعي حوله، ولا يتحولون إلى متابع لما يحدث، فإذا تم تمثيل الأنبياء في مسلسل أو فيلم أصدروا بيانًا وحرموا الأمر، لماذا لا يجتمعون ويناقشون ويخرجون برؤية شبه موحدة، وباجتهاد جماعي يبين ضوابط التمثيل والفن والمسرح والسينما.. ما الذي يجوز وما الذي لا يجوز، وينظمون الأمر، أو على الأقل يقدمون رؤية يمكن أن تستفيد منها مؤسسات الإنتاج الفني والسينمائي، وتكون حجة عليها!!

وكذلك الحال في الدراما، فنحن بحاجة إلى إعادة النظر فيها والارتقاء بها، فما يُعرض من مسلسلات رمضانية وغيرها لا هدف لها في الغالب سوى الإضحاك والتسلية، وأتمنى أن تقوم قناة يمنية بإنتاج مسلسل عن أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن، مثل الملك الأشرف أو المظفر، أو تنتج مسلسلًا عن الإمام الشوكاني –رحمة الله تغشاه–، أو حتى أفلام وثائقية عن أعلام اليمن ممن يستحقون الإشادة بجهودهم ونضالاتهم، بدلًا من تتبّع حركات الفقيه نعمان وما يدور من سوالف نسائية في "ليالي الجحملية" و"خلف الشمس" وغيرها من الأعمال التي مهما بلغت جودتها، فإن الهدف منها هو التسلية، دون وجود رسالة جادة وهدف يستفيد منه الناس برأيي.

دحباش.. من ظاهرة فنية إلى سبة مناطقية!

في مطلع التسعينيات من القرن العشرين كنت وأنا طفل صغير في شهر رمضان المبارك أتسمر أمام شاشة التلفاز، حيث أشاهد مثل الملايين من أبناء اليمن المسلسل الكوميدي "دحباش"، وهو المسلسل الأشهر، والذي حظي حينها ولسنوات بنسبة مشاهدة عالية جدًّا فاقت كل التوقعات، وأصبح الفنان الكوميدي «آدم سيف» النجم الكوميدي الأشهر في اليمن بعد رحلة كفاح طويلة في مجال المسرح والدراما.

استمر المسلسل الأشهر لثلاث سنوات، وبعد أن بدأ ينتقد الفساد وممارسات المسئولين، ويتطرق لبعض الظواهر السياسية السلبية، تم إيقاف المسلسل رغم نجاحه الكبير.

أتذكر حينها عبارة كان يرددها «دحباش» في المسلسل وهي: "وين المدير؟ قالوا المدير راقد!"

التصق لقب "دحباش" بالفنان «آدم سيف إسماعيل العزيبي»، إذ رأى البعض أن هذه النجومية القاتلة جنت على الفنان «آدم سيف»، وفي هذا الإطار كتب الصحفي «صادق ناشر» عن "لعنة دحباش"، وقال

قبل سنوات في مقال نُشر بصحيفة "الناس" أن لعنة دحباش طاردت الفنان الكوميدي «آدم سيف» وجنت عليه، وطالب رئاسة التلفزيون أن تبث أعماله، وتوقف الحصار الذي ضُرب حول هذا الفنان الكوميدي المبدع، ولكنها دعوة ذهبت أدراج الرياح، ووقعت في وادٍ غير ذي زرع!

- **الصراعات السياسية تجني على الفن**

بعد سنوات من بث الفضائية اليمنية لمسلسل دحباش، والذي استمر لثلاث سنوات، ونال أيضًا نسبة مشاهدة ممتازة في دول الخليج أيضًا، عرف المشاهد في السعودية ولادة مسلسل كوميدي مشابه، وهو "طاش ما طاش"، وبينما استمر المسلسل السعودي وتواصل على مدى عقدين من الزمن، عصفت التجاذبات والصراعات السياسية اليمنية بمسلسل "دحباش" بدلًا من استمراره كظاهرة فنية فريدة، وتم إيقافه، إذ استطاع البعض إقناع السلطة حينها بأن المسلسل يسيء لأبناء اليمن، ويصورهم كأشخاص فوضويين ومتخلفين، وتحوّل لقب «دحباش» من شخصية فنية كوميدية إلى سبة مناطقية!

- **تواصل الإبداع رغم المنع والحصار**

حاول الفنان «آدم سيف» تجاوز كل حواجز المنع والحصار، وقدّم أعمالًا كوميدية ودرامية، ولكن تم إيقافها، مثل مسلسل "طاهش وناهش" وغيره، ورغم المنع الذي فرضه التلفزيون اليمني على هذا الفنان الكوميدي المبدع، فإنه ظل يقدم أعمالًا مسرحية وفنية في مناسبات عديدة، إذ قدّم عدة مسرحيات على مسارح وزارة الثقافة، منها مسرحية "صوتك مهم"، ومسرحية "الأقنعة المتساقطة"، ومسرحية "زوجونا يا ناس"، وقدم للتلفزيون اليمني مسلسل "الخفافيش" عام 2012م، ولكن المسلسل مُنع عرضه في رمضان 2012م، ولكن المسلسل حقّق لاحقًا مشاهدة عالية في اليوتيوب، تجاوزت نسبة مشاهدة مئات المسلسلات العربية.

والغريب أنه رغم ظهور قنوات فضائية يمنية خاصة، وتغير الكثير من الأمور، فإنه للأسف لم تتواصل جهة فنية أو تلفزيونية يمنية أو عربية مع الفنان «آدم سيف» لإعادته لجمهوره وتقديم مسلسلات جديدة تعالج قضايا الواقع اليمني بروح كوميدية، رغم أنه ما يزال قادرًا على العطاء والإبداع، وكأن الجميع قد اتفقوا على وضع هذا الفنان في دائرة

التهميش والإقصاء إلى الأبد، ربما باستثناء العمل الغنائي الذي قدمه مع الفنان «فهد القرني»!

- **«دحباش» يوضح أسباب اعتزاله**

يقول «آدم سيف» في حوار مع صحيفة الجمهورية بتأريخ 5 – 6 – 2012م: «لقد غبت نحو 15 عامًا تقريبًا عن الظهور في التلفزيون وتقديم أي أعمال، بسبب الإحباط الناتج عن مضايقات تعرّضت لها، وأحقاد طالتني من قِبل بعض المتنفذين في بلادنا، والذين أحبطوني من خلال رفض أية أعمال أقدمها، وخاصة في قطاع التلفزيون.. أما أين قضيت هذه الفترة؟ فقد قضيتها مع كُتبي أطالعها وأقرؤها، وبين أبنائي وأسرتي وجيراني بمدينة تعز، الذين أكنُّ لهم كل الحب والاحترام».

ويضيف آدم سيف: «ربما انعزلت عن الدراما من خلال المضايقات وتسييس أية أعمال أقدمها للإعلام، وخاصة التلفزيون، والتي بدأت بعد مسلسل «دحباش» قمت بعدها في عام 90 تقريبًا بتقديم مسلسل "أبو الخير" و"مواقف ضاحكة" بعد نضال وإصرار كبير، وبعدها قدمت "الطاهش والناهش" والذي قوبل بالرفض، ولا يزال حبيس الأدراج منذ

تسع سنين بسبب تسييسه وضيق هامش الحرية المتاحة، رغم أنه يعالج قضايا وهموم معاشة، نفس القضايا التي تناولها مسلسل "همي همك" تمامًا، قضايا السطو على الأراضي، ومصادرة حقوق الناس، والرشوة وغيرها».

- عن مصير «دحباش» وهل سيعود؟

السلطة في كل البلدان من حولنا تشجع المواهب الفنية والعلمية والإبداعية، وفي بلادنا تحارب كل المواهب وتهمشها وتقصيها، وتسيّس الكثير من الأعمال الدرامية، ثم تعمل على إيقافها، وخير مثال على ما نقول ما حدث للفنان المبدع «آدم سيف»، رغم أنه ثروة فنية يمكن استثمارها لمصلحة اليمن، وإيصال رسائل توعوية واجتماعية بقالب فني كوميدي، يجمع بين المتعة والرسالة، ولكن السلطة في بلادنا عمياء وقاتلة للمواهب، ومحارِبة لأي إبداع، بدليل أنها في هذا العام منعت عرض عشر حلقات من مسلسل "حاوي لاوي" بدعوى أنه يشوه بأبناء محافظة إب، رغم أنه مسلسل اجتماعي ينتقد الظواهر الاجتماعية بقالب كوميدي خفيف، ولكن من قتل ظاهرة دحباش الفنية، فسيقتل أي موهبة أخرى.

القليلون الآن من يعلمون بمصير الفنان اليمني الأشهر «آدم سيف»، حتى إن أخبارًا انتشرت أنه قُتل في الحرب بتعز، وتبين أنها مجرد شائعات، وأنه عُيّن مؤخرًا ملحقًا ثقافيًّا في سفارتنا.

ما الذي تبقى من دحباش كظاهرة فنية وكفنان وإنسان؟ وهل تسنح له الفرصة في العودة لجمهوره بعد كل تلك السنوات وفي ظل هذه الظروف التي تعيشها اليمن؟

أسئلة لن تجيب عنها سوى السنوات القادمة.

أدب الرحلة نماذج

اليمن في ذاكرة الرحالة "ابن بطوطة"

يُعدّ أدب الرحلة من أهم ألوان الأدب العربي، كما تُعد رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) من أشهر كتب الرحلة في الأدب العربي قديمًا، إذ حازت الشهرة العريضة دون غيرها، رغم شهرة كثير من المؤرخين والرحالة، كابن ماجد، وياقوت الحموي صاحب كتاب "معجم البلدان"، والمؤرخ الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب "صفة جزيرة العرب"، والإدريسي، وغيرهم، هذا قديمًا، ربما لأنها تضمنت الكثير من القصص العجيبة والحوادث الغريبة والوصف المفصل للأماكن والأشخاص والبلدان، كما امتزج فيها العام بالخاص، وتضمنت العديد من العلوم والمعارف والوصف للعادات والتقاليد والنظُم، فأعطت القارئ صورة واضحة عن أحوال العالم يومَها.

أما في الأدب العربي في العصر الحديث والمعاصر، فقد أبدع في هذا الفن كثيرون لا يستطيع كاتب في عجلة كهذه أن يحصيَهم ويستقصيَ ذكر مؤلفاتِهم، فقد أصبح أدب الرحلة "الاستطلاع" بابًا ثابتًا في معظم المجلات والصحف العربية المهمة، ويتذكر كاتب هذه السطور كيف أنه –وهو فتى في مرحلته الدراسية الإعدادية– كان يرقب بفارغ الشوق

مطلع مجلة العربي الثقافية لقراءة الاستطلاعات المصورة التي يقوم بها محمد المنسي قنديل، وفهمي هويدي، وأنور الياسين، وسليمان حيدر، وأشرف أبو اليزيد.

وتطور الأمر مع الفضائيات كثيرًا، فخصصت بعض الفضائيات برامج لهذا اللون من الأدب، كما أن بعض الكتاب والروائيين الذين ضمّنوا مشاهداتهم وانطباعاتهم في كتبهم ورواياتهم قد عملوا على تداخل هذا اللون من الأدب مع ألوان أدبية أخرى، فكتاب مثل "طالبان جند الله في المعركة الغلط" لمؤلفه المفكر فهمي هويدي، يتحدث عن رحلتين قام بهما المؤلف إلى أفغانستان، لا يستطيع أحد أن يصنفه ضمن أدب الرحلة، رغم أن الكتاب تضمن وصف المؤلف لما رآه من مدن أفغانستان، وما شاهده من غرائب وعجائب البلد وتقاليد أهله، بسبب الطرح الفكري التحليلي الذي حفل به الكتاب، كما أن كتابًا مثل "الطريق إلى مكة" رغم أسلوبه الروائي الشائق، واكتمال عناصر القصة فيه، لا يستطيع أحد أن يصنفه في باب الروايات، ويخرجه من إطار أدب الرحلة، كما أن كتابًا يتناول أدب الرحلة لا يستطيع إغفال كتاب الريحاني "ملوك العرب"، ولا كتب محمد بن ناصر العبودي، وهي كثيرة جدًّا، فقد زار العبودي أيام عمله في رابطة العالم الإسلامي أكثر من مائة

دولة في إطار تفقده أحوال المسلمين فيها، وكتب نحو (100) مؤلف مدعم بالصور عن هذه البلدان.

وعلى مستوى بلادنا، يرى الكثيرون أن الصحفي محمود ياسين أشهر من كَتَب في الصحافة اليمنية في فن الاستطلاع "أدب الرحلة"، ولعل كتابه "مدن لا يعرفها العابرون" هو شاهد على إبداع هذا الشاب، رغم توقفه منذ سنوات عن الكتابة في هذا الفن، ورغم أن الكاتب الراحل الأستاذ حمود منصور –رحمه الله– قد سبقه إلى هذا الفن، فأصدر في الثمانينيات عدة كتب في أدب الرحلة مثل "قبيلي في الصين"، "الرياض من الباب الخلفي"، "وبكيت في الخرطوم"، "أكرمه بدجاجة"، لكن بُعد منصور –رحمه الله– عن الصحافة ووسائل الإعلام جعله مغمورًا في حياته وبعد موته –رحمه الله–.

ولنعد إلى حيث بدأنا إلى رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، لنتعرف على ابن بطوطة ونلقي الضوء على رحلته المشهورة.

فمن هو ابن بطوطة؟

هو أمير الرحالة المسلمين كما تلقبه بعض المؤسسات البحثية الأوروبية في كتبها وأطالسها، كجامعة كامبردج، وهو من حيث النسب: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (نسبة إلى طنجة المدينة المغربية المعروفة)، تُرجمت رحلته للإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية، وقد كان ابن بطوطة قاضيًا شاعرًا يجيد العربية والتركية والفارسية والأردو.

ولد ابن بطوطة سنة (703هـ) الموافق (1304م)، وتُوفي في مراكش (779هـ) الموافق (1377م)، ودامت رحلته في أقطار الدنيا حوالي (27) عامًا.

- **ابن بطوطة في اليمن**

كانت اليمن من ضمن البلدان التي زارها ابن بطوطة في رحلته، وكانت مدينة حلى لعلها الحديدة حاليًا أول مدينة يمنية وصل إليها ابن بطوطة، لنتركه هو يروي تفاصيل رحلته في اليمن يقول ابن بطوطة: لما قدمت مدينة حلى، وسلطانها عامر بن ذؤيب من بني كنانة، وهو من الفضلاء

الأدباء الشعراء، وكنت أثناء الحج قد صحبته من مكة إلى جدة، فلما وصلت بلده أكرمني، وأقمت في ضيافته أيامًا، وركبت بعد ذلك البحر في مركب له، فوصلت إلى بلدة السَّرجة، وهي بلدة صغيرة، يسكنها جماعة من أولاد الهلبي، وهم طائفة من تجار اليمن، أكثرهم ساكنون بصنعاء، ولهم فضل وكرم وإطعام لأبناء السبيل، ويعينون الحجاج، ويركِّبونهم في مراكبهم، ويزودونهم من أموالهم، وقد عُرفوا بذلك واشتُهروا به، وأكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير، وليس بالأرض من يماثلهم في ذلك إلا الشيخ بدر الدين النقاش الساكن ببلدة القحمة، فله مثل ذلك من المآثر والإيثار.

وأقمنا بالسرجة ليلة واحدة في ضيافة المذكورين، ثم رحلنا إلى مرسى الحادث، ولم ننزل به، ثم إلى مرسى الأبواب، ثم إلى مدينة زبيد، وهي مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخًا، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها، ولا أغنى من أهلها، واسعة البساتين، كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره.

وهي بريّة لا شطّيّة، إحدى قواعد بلاد اليمن، مدينة كبيرة، كثيرة العمارة، بها النخل والبساتين والمياه، أجمل بلاد اليمن وأحسنها، ولأهلها لطافة الشمائل، وحسن الأخلاق، وجمال الصور، وهي وادي

الخصيب الذي يُذكر في بعض الآثار أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال لمعاذ في وصيته: (يا معاذ إذا جئت وادي الخصيب فهرول)، ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهور، وذلك أنهم يخرجون في أيام البسر والرطب في كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء، ويخرج أهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات، وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق والأخلاق الحسنة والمكارم، وللغريب عندهن مزية، ولا يمتنعن من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا (يقصد المغرب)، فإذا أراد السفر خرجت معه وودعته، وإن كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه، ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها، وإذا كان مقيمًا، فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة، لكنهن لا يخرجن عن بلدهن أبدًا، ولو أعطيت إحداهن ما عسى أن تعطاه على أن تخرج من بلدها لم تفعل، وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق.

لقيت بمدينة زبيد الشيخ العالم الصالح/ أبا زيد عبد الرحمن الصوفي، أحد فضلاء اليمن، ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع/ أحمد بن العجيل اليمني، وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات.

وخرجت لزيارة قبر هذا الرجل الصالح، وهو بقرية يقال لها: غسانة خارج زبيد، ولقيت ولده الصالح/ أبا الوليد إسماعيل، فأضافني، وبتّ عنده، وزرت ضريح الشيخ، وأقمت معه ثلاثًا.

وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي، وهو من كبار الصالحين، ويقدم عليه حجاج اليمن إذا توجهوا للحج، وأهل تلك البلاد وأعرابها يعظمونه ويحترمونه، فوصلنا إلى جبلة، وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار، فلما سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدوم الشيخ أبي الوليد استقبله وأنزله بزاويته، وسلمت عليه معه، وأقمنا عنده ثلاثة أيام في خير مقام، ثم انصرفنا، وبعث معنا أحد الفقراء، فتوجهنا إلى مدينة تعز حاضرة ملوك اليمن، وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها، وأهلها ذوو تجبر وتكبر وفظاظة، وكذلك الغالب على البلاد التي يسكنها الملوك، وهي ثلاث محلات:

إحداها: يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته، وتُسمى باسم لا أذكره.

والثانية: يسكنها الأمراء والأجناد، وتُسمى عدينة.

والثالثة: يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى، وتُسمى المحالب.

- **ذكر سلطان اليمن المظفر الرسولي**

وهو السلطان المجاهد نور الدين علي ابن السلطان المؤيد هزبر الدين داود ابن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول، شُهر جده برسول، لأن أحد خلفاء بني العباس أرسله إلى اليمن ليكون أميرًا، ثم استقل أولاده بالملك، وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه.

وكنت لما وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ الفقيه أبو الحسن الزيلعي في صحبتي، قصد بي إلى قاضي القضاة الإمام المحدث صفي الدين الطبري المكي، فسلمنا عليه، ورحب بنا، وأقمنا بداره في ضيافته ثلاثًا، فلما كان اليوم الرابع، وهو يوم الخميس، وفيه يجلس السلطان لعامة الناس، دخل بي عليه فسلمت عليه، وكيفية السلام عليه أن يمس الإنسان الأرض بسبابته ثم يرفعها إلى رأسه ويقول: أدام الله عزك، ففعلت كمثل ما فعله القاضي عن يمين الملك وأمرني فقعدت بين يديه.

فسألني عن بلادي وعن مولانا أمير المسلمين جواد الأجواد أبي سعيد -رضي الله عنه-، وعن ملك مصر وملك العراق وملك اللور، فأجبته

عما سأل من أحوالهم وكان وزيره بين يديه فأمره بإكرامي وإنزالي.. وترتيب قعود هذا الملك أنه يجلس فوق دكانة مفروشة مزينة بثياب الحرير، وعن يمينه ويساره أهل السلاح، ويليه منهم أصحاب السيوف والدرق، ويليهم أصحاب القسي، وبين أيديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدولة وكاتب السر، وأمير جندار على رأسه والشاويشية وهم من الجنادرة وقوف على بعد، فإذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة: بسم الله، فإذا قام فعلوا مثل ذلك، فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده، فإذا استوى قاعدًا دخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رُسم له في الميمنة أو الميسرة، لا يتعدى أحد موضعه، ولا يقعد إلا من أُمر بالقعود.

يقول السلطان للأمير جندار: مُرْ فلانًا يقعد، فيتقدم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قليلًا، ويقعد على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة، ثم يُؤتى بالطعام، وهو طعامان: طعام العامة، وطعام الخاصة. فأما الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف، وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والأمراء ووجوه الأجناد، ومجلس كل إنسان للطعام معين لا يتعداه، ولا يزاحم أحد منهم أحدًا.

وعلى مثل هذا الترتيب، سواء هو ترتيب ملك الهند في طعامه، فلا أعلم أسلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن، أم أن سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند.

- **ابن بطوطة في صنعاء**

وأقمت في ضيافة سلطان اليمن أيامًا، وأحسن إليّ وأركبني، وانصرفت مسافرًا إلى مدينة صنعاء، وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى، مدينة كبيرة حسنة العمارة، بناؤها بالآجر والجص، كثيرة الأشجار والفواكه والزرع، معتدلة الهواء، طيبة الماء، ومن الغريب أن المطر في بلاد الهند واليمن والحبشة إنما ينزل في أيام القيظ، وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الأوان.

فالمسافرون يكفون عن السفر عند الزوال، لئلا يصيبهم المطر، وأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم، لأن أمطارها وابلة متدفقة، والمدينة مفروشة كلها، فإذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأنقاها.

وجامع صنعاء من أحسن الجوامع، وفيه قبر نبي من الأنبياء –عليهم السلام–. (لم يذكر ابن بطوطة اسم هذا النبي).

● ابن بطوطة في عدن

ثم سافرت منها إلى مدينة عدن، مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم، والجبال تحف بها، ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد، وهي مدينة كبيرة، ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء، وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر، والماء على بعد منها، فربما منعته العرب وحالوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب. وهي شديدة الحر، وهي مرسى أهل الهند، تأتي إليها المراكب العظيمة من مدن الهند، مثل كنبايت وتانه وكولم وقالقوط وفندراينه والشاليات ومنجرور وفاكنور وهنور وسندابور وغيرها، وتجار الهند ساكنون بها، وتجار مصر أيضًا، وأهل عدن ما بين تجار وحمالين وصيادين للسمك، وللتجار منهم أموال عريضة، وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه، لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال، ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة.

محمد بن ناصر العبودي.. رحالة العصر

كنت منذ صغري مولعًا بقراءة كتب "أدب الرحلة"، والاستطلاعات التي تنشرها المجلات المعروفة مثل مجلة "العربي" وغيرها، ربما لرغبتي العارمة بأن أمتطي صهوة طائر أسطوري يطير بي إلى بلاد الله الواسعة، فأشاهد معالمها وأكتشف عجائبها وغرائبها، وأشاهد عادات أهلها وتقاليدهم، وأتعرف على ثقافتهم وما يتميزون به.

ومن أوائل الكتب التي قرأتها عن الكثير من مدن ومناطق العالم الإسلامي، كانت مؤلفات العلامة ابن بطوطة العصر الرحالة والأديب/ محمد بن ناصر العبودي –رحمة الله تغشاه–، إذ تُوفي في توفي في 2 يوليو 2022م (1926م – 2022م)، بعد أن طاف بالكثير من البلدان الإسلامية وغيرها، وبعد أن كتب العشرات من المؤلفات التي أضاف بها إضافات قيمة إلى المكتبة العربية، وأثرى بها أدب الرحلة، إذ روى فيها مشاهداته وانطباعاته، وأسهم بشكل كبير في التعريف بها وبقضاياها، وقد تميزت كتاباته بأسلوب رائع وطرح مشوق.

لقد عرّفتني كتبه بالكثير من البلدان الإسلامية، إذ قرأتها في مرحلة مبكرة من عمري.. وُلد الأديب والرحالة العبودي في مدينة بريدة بالمملكة العربية السعودية، وهي أيضًا مسقط رأس العلامة الدكتور سلمان العودة، وتلقّى تعليمه الأولي فيها على يد عدد من العلماء، ثم عمل مدرسًا، ثم مديرًا للمعهد العلمي في بريدة، ثم أصبح الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لثلاثة عشر عامًا، وفي وقت لاحق أصبح وكيلًا للجامعة نفسها، ثم مديرًا لها، ثم شغل منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وهو المنصب الذي أتاح له بحكم عمله، وقبلها في الجامعة الإسلامية بالمدينة كأمين عام لها، زيارة معظم أصقاع العالم، فكان لا يكتفي بالمشاهدات ولقاء الناس والاطلاع على التطورات، بل كان يسجل كل التفاصيل ويعود ليكتب عنها الكتب العديدة التي ضمّنها مشاهداته وملاحظاته ومعلوماتٍ قيمة عن تلك البلدان والمدن، حتى أثمرت جولاته أكثر من مائة وستين كتابًا في أدب الرحلات، ويكون بهذا قد حقّق رقمًا قياسيًا في كتب الرحلات العربية.

من الرائع أن العلامة العبودي قد نال بعض التكريم في حياته، إذ مُنح ميدالية الاستحقاق في الأدب عام 1394 هـ، 1974م.

كما نال الجائزة التقديرية للرواد لجهوده العلمية المتمثلة في رصده الدقيق لجهود المملكة العربية السعودية في مجال الدعوة الإسلامية، وإيصال المساعدات السخية للشعوب الإسلامية، إذ سجّل ذلك بدقة من خلال كتبه التي تجاوزت 160 كتابًا عن رحلاته في العالم الإسلامي.

في كتب الرحالة العبودي أيضًا ذلك الوصف الببليوغرافي الممزوج بالرصد التاريخي لكثير من الأماكن في السعودية وغيرها، وهو ما يعطيها قيمة أكبر ويجعلها وثيقة مهمة للباحثين والأجيال.

لم تشغل الرحالة العبودي رحلاته وأسفاره الكثيرة عن تقديم مادة علمية عن بلده، فأنجز معجمه لمنطقة القصيم الذي أنشأه في ستة مجلدات، ويظهر في هذا المعجم اهتمامه بالمأثورات الشعبية والأمثال العامية في بعض مناطق المملكة العربية السعودية، وتدوين ذلك في الكثير من كتبه، وعنايته بالتأريخ لبعض الشخصيات الشعبية وتدوين أخبارها.

ولم يكتف الرحالة والأديب العبودي بمؤلفات كثيرة عن رحلاته الكثيرة وتعريف مفصل بأوضاع المسلمين فيها، بل كان له مؤلفات قيمة أيضًا في مجال اللغة والأنساب وغيرها. رحمة الله تغشاه.

السفير عبد الوهاب العمراني.. وأدب الرحلة

بعد وفاة الدكتور عبد العزيز المقالح –رحمه الله– وجدت له في إحدى المكتبات كتاب "ذكرياتي عن خمس وعشرين مدينة عربية"، وهو الكتاب الذي تضمن انطباعاته عن المدن العربية التي عاش فيها أو زارها من الخليج إلى موريتانيا، وقد اشتريت الكتاب وقرأته بسعادة ومتعة، لقد تمنيت أن الدكتور المقالح واصَل رحلاته وأسفاره، حتى يكتب الكثير من الكتب الرائعة الممتعة.

ولعل من نافلة القول إن بلادنا تفتقر إلى هذا النوع من الكتّاب في "أدب الرحلة"، ولأن لهذه القاعدة استثناءً فقد قام الكاتب والسفير عبد الوهاب العمراني بدور كبير في هذا المجال، إذ أتاح له عمله في الخارجية اليمنية القيام بعشرات الرحلات إلى مختلف الدول والمدن، وقد أثمرت أسفاره عن كتابه الشهير "رؤية يمنية في أدب الرحلات"، وهو الكتاب الذي يُعتبر برأيي من أروع ما كتب في أدب الرحلات خلال السنوات الماضية.

وقد وصف الدكتور عبد العزيز المقالح كتاب السفير العمراني "رؤية يمنية في أدب الرحلات" بقوله في مقدمة الكتاب: «هذا الكتاب أمتعني وأضاف إلى معلوماتي الكثير، ولغته بديعة وخالية من التكلف والتصنع، يمكن القارئ متابعته بسلاسة ويُسر، وكلما قطع جزءًا من الكتاب، زاد شوقه إلى استكمال بقية الأجزاء، وبوصفي واحدًا من أوائل قرائه أتمنى أن يواصل السفير عبد الوهاب العمراني كتاباته عن أسفاره الجديدة بالمستوى الأدبي الراقي وإخلاص الأديب المبدع».

الرائع في هذا الكتاب أن السفير العمراني لا يكتفي بسرد انطباعاته ومشاهداته، وإنما يضيف إليها رؤيته فيما يشاهده من مشاهدات ومعالم ترتبط بأحداث وتاريخ، ويقارنها بغيرها، فيضيف إليك الكثير من المعلومات القيمة والحقائق المدهشة.

وغنيٌّ عن القول بأن سعادة السفير عبد الوهاب العمراني سليل أسرة يمنية عريقة، عُرفت بتقديمها العديد من العلماء والقضاة والمبدعين في شتى المجالات، كما أن والده هو علامة اليمن الراحل القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، ولذا فقد تشرب العلم والمعرفة منذ صغره، وكان شاهدًا على الكثير من الأحداث في اليمن والعالم العربي، ولذا فإنه حين

يكتب عن الدول والمدن والأحداث، فإنه يثري الموضوع، فتأتي كتاباته رصينة، ومقالاته قطوفًا يانعة شهية.

السفير العمراني يكتب بشكل دائم تحليلات سياسية في الصحف اليمنية والعربية، تتناول الأحداث في اليمن والعالم العربي، كما ينشر بشكل مستمر في صفحته بالفيسبوك الكثير من المواد الرائعة المتنوعة، والتي تستحق القراءة التفاعل.

كما أن كتاباته عن الأحداث، والمقتطفات من كتبه ورحلاته التي ينشرها، تأتي مدعمة بالصور والوثائق النادرة التي ينتقيها من أرشيفه العامر بالصور والكتابات والوثائق، فهو بحق موسوعة متنقلة.

والسفير العمراني رغم المشاغل والأمراض التي ابتُلي بها، ما تزال روحه شابة متوقدة، وما تزال عزيمته قوية، وما يزال في جعبته الكثير والمدهش، وما تزال لديه كتب تحت الطبع، وما يزال يتطلع لزيارة بلدان عديدة، والكتابة عنها، وإصدار كتب جديدة تثري المكتبة اليمنية، وتضيف لها الجديد والمفيد.

لقد عمل السفير عبد الوهاب العمراني في البعثة اليمنية في الاتحاد الأوربي، وألّف كتابًا مهمًّا عن "الاتحاد الأوربي والعلاقات اليمنية

الأوروبية"، وهو أيضًا عضو في نقابة الصحفيين العرب، وعضو كتّاب آسيا، وإنسان رائع وخلوق، يفرض حبه على كل من يعرفه ويتعامل معه، إذ مثّل بلده بصدق، وكان بحقٍّ سفيرًا للثقافة والإبداع اليمني أينما حلّ وارتحل.

تحية لابن بطوطة اليمن وسفيرها الثقافي والدبلوماسي الخلوق والكاتب المبدع الأستاذ/ عبد الوهاب العمراني.

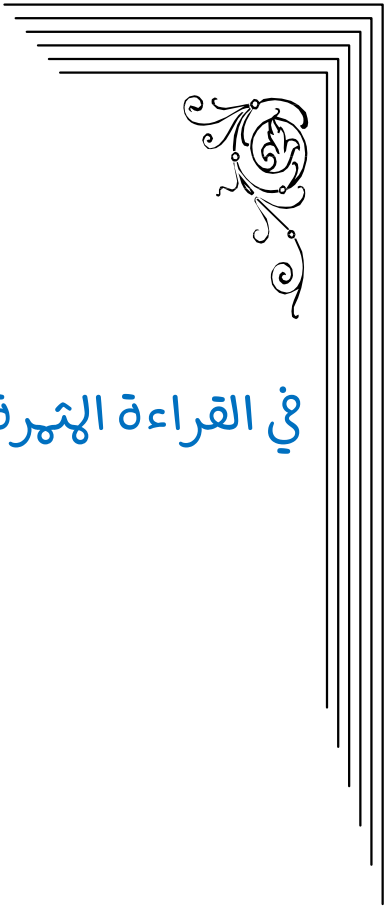

في القراءة المثمرة قصص ونماذج

كيف يقوي القرآن الملكة الأدبية؟

منذ أن كان عمري 12 عامًا قرأت مئات الكتب والمقالات والصحف والمجلات، قرأت كثيرًا بغية التعليم والتثقيف، وتقوية الملكة الأدبية، وقد استفدت منها بلا شك، ولكني لم أجد كتابًا ينور البصائر ويشعل قناديل العقول مثل القرآن، ولذا فإن لقراءة القرآن دورًا كبيرًا في انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وتقوية الذاكرة، والقدرة على الاستنباط والفهم، والصفاء في الذهن، خاصة عندما تكون القراءة بتدبّر وتأمّل.

إن في الحياة مع القرآن –تلاوةً وتدبرًا وتطبيقًا– لذة تفوق الوصف، كأن شلالًا من السعادة ينداح على قلبك، فيروي ظمأه للطمأنينة والسعادة، ولذا.. فمن يتلو القرآن دومًا، يجد نفسه يسمو ويحلّق في أفق من الشفافية والنورانية.

لقد وجدتُ من خلال تجربتي العملية أن الإغراق في متابعة ما يُنشر في مواقع التواصل الاجتماعي، ومتابعة الأخبار والتحليلات السياسية تجلب للقلب القسوة والوحشة والشعور بالقلق وعدم الأمان وغياب

الاطمئنان، لكن بالمقابل.. فإن قراءة القرآن تغسل القلب، وتطهر الوجدان من شوائب الدنيا وما فيها من وحشة وظلمة وقسوة.

قراءة القرآن تعيد للقلب براءته وطهارته ونقاءه، كما أنها تقوّي ملكة الاستنباط والفهم والقدرة على الكتابة والإبداع، إذ تقوّي الملكة الأدبية بشكل مدهش.

ولو تأملت في سير الأدباء والمشاهير والأعلام ستجد أنهم في طفولتهم قد قرؤوا القرآن في الكُتّاب، أو في مدارس لتحفيظ القرآن، كما حفظه أغلبهم، وبهذا الحفظ وضعوا أولى الخطوات نحو تكوين الشخصية الأدبية والعلمية، كما بنوا الأساس الأول في التثقيف والتعليم، وعلى قواعد لغوية سليمة.

إن قراءة القرآن تفتح للمرء فتوحات كثيرة، فتتكشف له المعاني، وتنزاح أمام ناظريه غشاوة كانت تحجب عيني قلبه عن رؤية معانٍ مدهشة ورائعة، وتحت راية القرآن وفي ظلاله أبدع الكثير من المبدعين الكثير من الروائع الخالدة، والمقام هنا يضيق عن الحصر، فالشاعر والفيلسوف/ محمد إقبال قد استلهم من نور القرآن ومعانيه روائعَه الشعرية والنثرية، وكذلك فعل مصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب، ونجيب الكيلاني، وعلي الطنطاوي، وعلي أحمد باكثير، وغيرهم.

إن الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره يقوّي ملكة الكتابة والإبداع الأدبي بشتى فنونه؛ وذلك لأن القرآن الكريم يمثّل قمة الفصاحة وذروة في البلاغة، إذ يتميز بجزالة اللفظ، وروعة البيان، وذلك الأسلوب السماوي المتفرد الذي لا يدانيه أسلوب، ففي كتاب الله الجمال والجلال والفصاحة والبيان والروعة والسمو.

وفي القرآن شفاء للقلوب التي في الصدور التي صارت موحشة وقاحلة بسبب الإغراق في الدنيا، بما فيها من صراع ومماحكات ومواجع وسفاسف، ولذا فإن القراءة بتأمّل وتدبّر وخشوع وحضور القلب، هي بمثابة غيث يسقي أرض القلب، فتنبت السعادة والطمأنينة وراحة البال، ستزول كل أحزانك، وتنتهي مخاوفك، وستذهب كل الوساوس والهواجس، وستشعر أنك إنسان جديد، وهذا لعمري ذروة الإبداع الحياتي، وقمة الإمتاع، والمؤهل الأكبر نحو الإبداع والتميز.

لقد سمعتْه الجن فأسلمت، ومضت تدعو إلى الله، وسمعه الوليد ابن المغيرة –وهو مشرك– فسلب لُبَّه، وملك قلبه، ودُهِشَ من حلاوته وبلاغته، واستولى كلام الله على ذهنه ووجدانه، فقام يحاجج قومه عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد أن سمعه يتلو القرآن، ويقول:

(ما هو بكاهن، لقد رأيت الكُهَّان، فما هو بِزَمزَمةِ الكاهن وسَجعه؛ فقالوا:

– نقول مجنون، فقال:

– ما هو بمجنون، لقد رأينا الجُنون وعرفناه، فما هو تَخَنُّقه ولا تَخالُجُهُ ولا وسوَستهُ، فقالوا:

– نقول شاعر، فقال:

– ما هو بشاعر، قد عرفنا الشِّعر بِرَجزِهِ وقَريضهِ، ومَقبوضهِ ومَبسوطهِ، فما هو بالشعر، قالوا:

– فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السَّحرةَ وسِحرهم، ما هو بِنَفثهِ ولا عُقَدهِ.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: (والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا؛ ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن؛ والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لَمُثمِر، وإنَّ أسفَلهُ لَمُغدِق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه).

والمُكْثِر من تلاوة القرآن تجد لغته سليمة، وتعبيراته قوية، وألفاظه جزلة، ولسانه مستقيمًا، كما تجده ينجو من اللحن والأخطاء اللغوية، ونادرًا ما يخطئ في الكتابة أو في أثناء الحديث أمام الناس، وذلك لأن (القرآن الكريم قد منح اللغة العربية قوة ورقيًّا ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محطّ جميع الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال)[1].

وعن هذا الأمر يقول أديب القرآن مصطفى صادق الرافعي –رحمه الله–: «نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يُعجز قليله وكثيره معًا، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خُلقت سماء غير السماء، وبُدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفّى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة

---

[1] للتوسع انظر مقال "اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم" لإبراهيم فوزي في موقع "صيد الفوائد" على هذا الرابط: http://www.saaid.net/arabic/842.htm

الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرًا لا يقضى العجب منه لأنه جلّاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بُهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم»[1].

[1] تاريخ آداب العرب، الرافعي، (ط2، دار الكتاب العربي، بيروت: 1974م) 2 /74

أفكارنا نتاج ما نقرأ

من المؤكد أن أفكار المرء هي نتاج ما يقرأ، فالذين يقرؤون مثلا لمحمد شحرور، ومحمد أركون، ونوال السعداوي، والصادق النيهوم، وعبد المجيد الشرفي، وغيرهم ممن جمعوا الغث والسمين، وتضمنت كتبهم الكثير من الشبهات والطعن في الإسلام، فلا شك في أنهم سيتأثرون بما يقرؤون، وستظل الكثير من أفكار هؤلاء منطبعة في أذهانهم، وسيتأثرون بها في نقاشاتهم وكتاباتهم، وهذا مع إدراكهم المسبق بأن أفكار هؤلاء ليست سوية! أما من يقرأ لهم وهو غير متسلّح بزاد علمي قوي، وليس له أساس عقائدي قوي، وقناعة مسبقة ببطلان الكثير من أفكارهم، فسوف يجرفه تيار هؤلاء إلى منزلقات خطيرة، إن لم يكن نسخة مطورة منهم!

ولو أخذنا عينة ممن انحرفوا في فكرهم ودرسنا أسباب انحرافهم فسنجد من أبرزها: أنهم قرؤوا لهؤلاء المنحرفين، كما قرؤوا للمستشرقين والعلمانيين من الحاقدين على الإسلام، وأكثَروا من قراءة شبههم وانحرافاتهم وطعونهم، حتى تشربوها وظهرت في كتاباتهم وأفكارهم.

وقد يقول البعض:

– لماذا نخاف من أفكار الآخر وأطروحاته ما دمنا على الحق؟!

والجواب: نحن نخشى من مواجهة أفكار الآخر وأطروحاته ونحن بدون الزاد العلمي والعمق الفكري الكافي لجعلنا قادرين على مواجهة هذه الشبهات والأطروحات والرد عليها.

فمن يدفعك لمواجهة خصم متسلح بمدفع ورشاش آلي، وأنت طلٌّ، ما بحوزتك مجرد سكين صدئة، فإنه يلقي بك إلى التهلكة في معركة غير متكافئة، ولكن حين تمتلك القوة الموازية لقوته، تواجهه وأنت قادر على منازلته في أرضه والتغلب عليه.

فلم يواجه الشيخ الراحل/ أحمد ديدات –رحمة الله تغشاه– المئات من المنصرين والقساوسة، ويتغلب عليهم، إلا بعد أن تسلّح بالزاد العلمي الكافي، وقرأ المئات من الكتب التي تضمنت الردود الشافية والأجوبة الكافية على شبهاتهم، وقرأ كتبهم بعد ذلك، فأدرك مدى تهافتها وضحالتها وضعفها.

ولا بأس أن يتم تخصيص مجموعة من العلماء ممن لديهم تمكّن علمي قوي واطلاع واسع للاطلاع على كتب هؤلاء والرد عليها وبيان

تهافتها، بحيث يغنون القارئ عن السير في طرقاتها الوعرة بما فيها من أشواك ومنزلقات، أما القارئ العادي ممن يفتقر للتمكن العلمي والعمق الفكري، ولا يعلم كيف يرد على شبهات هؤلاء وأفكارهم وتدليسهم، فإنه يُخشى عليه إذا قرأ لهم أن تجرفه سيول أفكارهم، وعواصف شبهاتهم، خصوصًا مع ضعف تواصل الشباب بالعلماء وسؤالهم عما يواجهون من شبهات وأفكار.

كما أن كثرة قراءة هذه الشبهات والمغالطات والتعود عليها، تجعلها تبدو في أذهان قارئيها كحقائق ومسلمات، بينما هي شبهات وأكاذيب!

وقد كان حجة الإسلام العلامة/ أبو حامد الغزالي من المتبحرين في العلوم الشرعية والفلسفية وعلم الكلام والمنطق والتصوف وشبهات الباطنية وغيرهم من الطوائف والفرق المنحرفة، وقد أدرك مدى تهافتها، وردّ عليها، وألّف العديد من الكتب القيمة التي ترد عليها، مثل كتابه الشهير "تهافت الفلاسفة"، و"إلجام العوام عن علم الكلام"، و"فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، و"فضائح الباطنية"، و"حجّة الحق، في الرد على الباطنية"، و"قواصم الباطنية"، و"مقاصد الفلاسفة"، وغيرها، ومع هذا فقد أكد الكثير من العلماء قديمًا وحديثًا، من الذين درسوا مؤلفات الغزالي أنه قد تأثر بهذه العلوم، وخصوصًا الفلسفة، كما يقول

عنه العلامة/ أبو بكر بن العربي عن الغزالي، وقد كان من معاصريه، ولقاه في بغداد: «شيخُنا أبو حامد: ابتَلَعَ الفلسفةَ، وأراد أن يتقيَّأها فما استطاع».

ولذا احتوت كتبه على الروائع والدرر والجواهر، كما تضمنت الغث والسمين، فكانت خيرًا كثيرًا فيه دخن، وكان من أبرز أسباب وجود هذا الدخن والغث في مؤلفات الغزالي رغم أهميتها أنه بدأ بدراسة الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وشبهات الباطنية وغيرها، ولم يكن قد تبحر في السنة النبوية كما يقول عن نفسه، ولذلك كثيرًا ما يستشهد بأحاديث ضعيفة، بل موضوعة، وخاصة في كتابه الشهير "إحياء علوم الدين"، وقد تعقبه الإمام الحافظ العراقي في كتاب خرّج فيه الأحاديث التي استشهد بها أبو حامد الغزالي، وعنوان هذا الكتاب (المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأحاديث والآثار)، وهو كتاب نال شهرة كبيرة، وطُبع عدة طبعات.

يقول العلامة الدكتور سلمان العودة –فك الله أسره–: (وبقراءة المغني تدرك ضعف بضاعة الغزالي في الحديث النبوي، وكذلك بعض كلام الغزالي في الإحياء يتوجس الإنسان منه خيفة، وبالمقابل فللغزالي إشراقات وحكم واستنباطات وغوص في المعاني في هذا الكتاب لا يكاد

يوجد في غيره من الكتب، خاصة في قضايا التربية والتصنيف والمفاضلة بين الأشياء وما شابه ذلك)[1].

ويضيف: (فإذا كان الباحث ذا قدرة على التمييز والنقد، فلا بأس أن يقرأ هذا الكتاب، وإلا فمن الممكن أن يقرأ بعض المختصرات التي اختصرت هذا الكتاب، منها مختصر منهاج القاصدين، أو كتاب القاسمي، أو غيره من المختصرات المعاصرة، وإن كان المختصر لا يقوم مقام الأصل).

فكيف إذا كان هذا حال العلامة الغزالي، والذي كان من نوابغ عصره، وحجة الإسلام، وآية في الحفظ والفهم والإدراك والاستنباط، فكيف بغيره من صغار طلبة العلم أو من القرّاء العاديين؟!

---

[1] للتوسع طالِع مقال "الغزالي والحديث.. هل كان الإمام أبو حامد جاهلًا بعلم الحديث؟" على
إسلام أونلاين على هذا الرابط:
https://islamonline.net/%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%AD%D8%A7%D9%85%D8%AF-%D8%AC%D8%A7%D9%87%D9%84%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB/

وقد كان الشاعر والفيلسوف الباكستاني الشهير/ محمد إقبال ممن درسوا في أوروبا ودرس العلوم الغربية ثم جاء وقال: (إنني قد مكثت في أتون التعليم الغربي سنوات، ثم خرجت من تلك العلوم كما خرج إبراهيم من نار النمرود).

وهذا القول غير صحيح، فمن قرأ مؤلفات محمد إقبال وأشعاره ودرس تراثه يجد فيه –كما في كتاب "تجديد الفكر الديني في الإسلام" الذي ترجمه عباس محمود العقاد– تأثرًا كبيرًا بالفلسفة الغربية والهندوسية، ووجد بعض الانحرافات في التصور العقدي عند محمد إقبال، رغم إبداعه وروائعه الشعرية والنثرية وجهوده الفكرية والسياسية في خدمة الإسلام وتأسيس دولة باكستان، وقُل مثل ذلك في عدد من كتبه الأخرى.

وكذلك الحال مع المفكر والسياسي السوداني الراحل الدكتور/ حسن الترابي الذي حصل على شهادة الماجستير من جامعة أكسفورد عام 1957، والدكتوراه من جامعة السوربون في باريس عام 1964م، وتأثر بأطروحات أساتذته والمشرفين عليه، وبأفكار المستشرقين والمفكرين الغربيين، فقد كان الترابي يتقن أربع لغات بفصاحة وهي: العربية،

والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، ويقرأ لهؤلاء المستشرقين والأساتذة، ويتشرب أفكارهم ويناقشهم ويعجب بهم.

وتأثر الباحث بأفكار غير المسلمين في العلوم الإنسانية أمر طبيعي، فالحكمة ضالة المؤمن، ولكن الإشكالية الكبرى التأثر بأفكار المستشرقين والعلمانيين الحاقدين على الإسلام، وخاصة في العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، لما لها من انعكاسات سلبية في أفكار المرء بعد ذلك.

والإشكالية اليوم أن الأمر ليس من قبيل التأثر بالأفكار وانعكاس القراءات المختلفة على الأفكار والمفاهيم والرؤى فحسب، وإنما هناك دوائر وجهات عديدة مهمتها الترويج لأفكار بعينها، وتسوّق وتلمع شخصيات بعينها، صنعتها في دوائرها، ومنحتها جوائزها وأوسمتها ونياشينها، وسوقت لها وأعدتها للطعن في الإسلام، والتأثير على الرأي العالم في العالم الإسلامي، لتقبل نوع جديد من الإسلام الأمريكي "المعتدل" المصنع في دوائر الاستخبارات الغربية، وذلك بغية تشكيك الشباب المسلم بدينه وتدجينه وتحويله إلى مسخ تابع لهذه الدول وأجندتها ومصالحها في المنطقة وعامل على خدمتها، تحت شعارات رائعة وبراقة، مثل: "القبول بالآخر" و"الانفتاح على الآخر" و"حرية المتعقد"

و"التنـوير" و"التجديـد في الإسـلام" و"الإسـلام الوسـطي" و"مواجهـة الراديكاليـة الإسـلامية" و"مواجهـة التطـرف الفكـري" و"تحريـر المـرأة" و"تمكـين المـرأة" وغيرهـا مـن الشـعارات البراقـة، الـتي ظاهرهـا الرحمـة، وباطنها من قِبله العذاب والخراب.

كيف تغيّرت نوال السعداوي نتيجة قراءتها؟!

يروي الأكاديمي المصري الدكتور/ رشاد البيومي –في مذكراته– قصة عجيبة، لها دلالات عميقة، يقول: (أذكر أننا عندما التحقنا بجامعة القاهرة في أوائل الخمسينات، لم يكن هناك مكان للصلاة سوى مصلى صغير مبني بالطوب الأحمر في ركن منزوٍ بالقرب من المدرسة "السعيدية" الثانوية.

ولم تكن في الجامعة طالبات محجبات إلا عدد قليل جدًّا، في كلية العلوم كانت هناك طالبة واحدة فقط، هي الأخت مجيدة إبراهيم.. وكانت أول طالبة محجبة في كلية الطب هي "نوال السعداوي"، وقد رأيتها في ندوة أثناء احتفالنا في كلية العلوم بذكرى المولد النبوي الشريف، وكان أول المتحدثين الدكتور سعيد رمضان (زوج ابنة الإمام حسن البنا)، وكان متحدثا مفوهًا، والثاني الإذاعي المتميز مأمون أبو شوشة، وكان أديبًا وشاعرًا.

أما الثالثة فكانت «نوال السعداوي» التي تحدثت عن زوجات الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكانت من أبرز المتحدثين، وقد عرفتها عن

قرب؛ حيث كانت تسكن في بجوارنا في منطقة العمرانية بمحافظة الجيزة، وكان والدها موجِّهًا أَوَّلَ للغة العربية والتربية الإسلامية.

وكان لها ثلاثة أخوة من بينهم د. وجيه السعداوي، أستاذ النباتات، ثم وكيل كلية العلوم بجامعة عين شمس، وهو رجل متدين حسن الخلق، رزقه الله بأبناء محافظين على دينهم.

وفي تلك الفترة، كنت أقيم في شقة بمفردي، حيث أتيت من الصعيد (جنوبي مصر)، وكانت علاقتي قاصرة على إخوتها، فكان هنالك أدب واحترام يمنع الرجل من الحديث مع أي امرأة لا تمتّ له بصلة قرابة قوية وكانت آنذاك –تعرفني عن بعد–.

والحقيقة أن اختيار زوج الابنة أمر مهم جدًّا، فقد تزوجت «نوال السعداوي» بأحد أقاربها وأنجبت منه ابنتها "منى حلمي"، ثم طُلقت منه، وتزوجت من «شريف حتاتة»، وهو رجل شيوعي استطاع التأثير عليها، ونجح في تغيير أحوالها وتبديل أفكارها بنسبة 180 درجة؛ حتى وصلت إلى صورة لا تتفق مع أي جانب إنساني على الإطلاق!)

أقول: لقد كانت «نوال السعداوي» متدينة على الفطرة، ولديها حب لدينها وملتزمة بالحجاب، ثم تزوجت برجل شيوعي حاقد على الإسلام

والمسلمين، فغيّر أفكارها، وفكّك قناعاتها بشكل تدريجي، حتى تخلّت عن حجابها وعن قناعاتها الدينة، ووصل بها الأمر إلى السخرية من الذات الإلهية، ومحاربة الإسلام، وهي انتكاسة نعوذ بالله منها!

ولعل الحكمة في تحريم زواج المسلمة بغير المسلم هي الحفاظ على دينها، فالمرأة عاطفية تتأثر بأفكار زوجها وقناعاته، خاصة مع العشرة الطويلة، وكثرة طرْق الموضوع، هذا إضافة إلى إذا كان متشبعًا بالشبهات ولديه ثقافة وقدرة على الجدل والإقناع.

فتأمّل...

كيف تقرأ بشكل ناجح ومثمر

في القراءة ليس المهم كم قرأت؟ المهم ماذا قرأت؟

وكيف قرأت؟

وهل شكلت هذه القراءة إضافة فعلية لك؟

هناك قراءة مثمرة.. تقرأ بتأنٍّ وتركيز وبيدك قلم وقصاصات، تدوّن ملاحظات، تضع خطًّا تحت عبارة تصلح للاقتباس، أو تضع قصاصة، تضع خطوطًا تحت عبارة لم تستوعبها، تبحث عنها بشكل أعمق حتى تستوعبها، تجد اسم شخصية لا تعرف عنه الكثير تبحث عنه.. القراءة مفاتيح لمعرفة الأشخاص والمصطلحات والأحداث والحقائق.

في القراءة لا بد من خطة شهرية أو فصلية، لا تقرأ بشكل عشوائي، أو تُخصّص شهرًا لمؤلفات كاتب معين من الأعلام الكبار.. مثلًا: هذا الشهر لمؤلفات الدكتور محمد عمارة، والشهر الذي يليه لمؤلفات الشيخ محمد الغزالي، والذي يليه للعلامة ابن تيمية، والذي بعده للقرضاوي، وهكذا.

شخصيًّا قد أقرأ وحولي نوعٌ من الإزعاج، لكني لا أنسجم وأستمتع بالقراءة إلا في الهدوء التام، كذلك لا أستطيع الكتابة إلا في الهدوء التام، وأتعجب من الذين لديهم قدرة على القراءة والكتابة في الضجيج!

الآن أكتب على الكمبيوتر، ومن قبل كنت لا أكتب إلا على ورق أبيض فلوسكاب، وبقلم أسود سائل، حتى لو اضطررت لا أستطيع.

القراءة تحلو عندما تكون بين اثنين، وفيها نقاش حول ما ورد بالكتاب، أحيانًا لكي تستوعب وتستمع دع شخصًا آخر يقرأ لك، وأنت استمع وركز وناقشه فيما يقرأ...

ربما من هنا جاءت فكرة البودكاست، وهي برامج عن قضايا شتى تستمع إليها كبرامج الراديو، تضع السماعة على أذنيك، وتستمع وتستمتع، الآن هناك برامج كثيرة يتم تحميلها من متجر بلاي، برامج متخصصة في قراءة كتب وروايات كثيرة، تختار الكتاب الذي تريد، وتضغط عليه وتستمع.

لا تقرأ بشكل يجعلك ترى أن كل ما في الكتاب مسلمات لا تقبل النقاش.. سأحكي لك قصة حدثت معي في هذا الأمر:

ذات مرة كنت أقرأ في كتاب، وكنت أجد فيه شطحات لا يستوعبها العقل، ولذا كنت أضع تحت العبارات التي لم تدخل عقلي خطًّا، وأكتب هوامش هي ردّي على شطحات ذلك المؤلف، كما كتبت هوامش هي زيادة تعريف لمصطلحات وأشخاص وكتب لم يعطها المؤلف حقّها من التعريف الذي تستحقه، بعدها أهديت ذلك الكتاب لشخصية كبيرة، فقرأه وهو مسافر من بلد إلى آخر، قرأه على متن الطائرة، وبعد سنوات لقيته، فذكّرني بالكتاب، وقال لي:

– لقد استفدت من الهوامش التي كتبتها فائدة كبرى، وأُعجبت جدًّا بهذه القراءة الواعية للكتاب.

ولذا أقول: المطلوب في القراءة ألا تسلّم عقلك للمؤلف، فليس كل كتاب يتضمن الصواب المطلق.

ولا بد من القراءة بوعي وتخطيط وتنظيم، فالعشوائية تأكل الوقت، وتستهلك العمر، ولا تثمر مثل التنظيم. وركّز على قراءة ما يخدم تخصصك وعملك قبل القراءة العامة. مثلًا أنت صحفي، اقرأ ما يخدم مهنتك وعملك أولًا.. أنت طالب علم شرعي، عليك بقراءة العلوم الشرعية، ثم خصص بعض الوقت للقراءة العامة، وهكذا، حتى تكون لديك الثقافة العامة والاطلاع على العصر وأحداثه.

وفي هذا المجال يرى الروائي الأردني الشهير/ أيمن العتوم أن القراءة المثمرة المنتجة للكتب هي:

1- أولًا أن تتخلى عن القراءة السريعة، فالقراءة السريعة هي التي تقرأ فيها كتابًا تستغرق قراءته ست ساعات، فتقرؤه في ساعتين، تقرأ أسطرًا وتترك أسطرًا، وهكذا.

2- أن تقرأ بسرعة متوسطة، لا ببطء شديد، ولا بشكل سريع، يعني تقرأ بين 30 إلى 40 صفحة بالساعة.

3- أن تمسك بالقلم، وتضع خطًّا تحت الكلمات التي أعجبتك، وخطًّا بلون آخر تحت الجمل التي تود اقتباسها، وتعيد قراءتها مرة أخرى لترسخ بالذهن أكثر.

4- أن تدع شخصًا آخر يقرأ لك، فأحيانًا القراءة من الطرف الآخر تكون ممتعة وترسخ في الذهن، أو يمكن أن تقرأ لشخص وتناقش معه ما قرأت، فهذه القراءة مفيدة، وأن تقوم بمناقشة ما قرأت مع شخص أو أكثر[1].

[1] للتوسع طالع قناة الدكتور أيمن العتوم في اليوتيوب "شذر مذر" في حلقة "رأيي بالقراءة السريعة" على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=SKY9gTaTtts

من قصص العلامة العمراني مع القراءة

قرأت كثيرًا عن حرص العلماء والعظماء على الوقت، فرأيت العجب العجاب، وعلمت أن الوقت هو العمر، وهو أثمن ما يملك المرء، ولذا فإني أعجب كثيرًا ممن يحرصون على إضاعة وقتهم في لعب الورق "الكوتشينة" أو الضُّمنة أو الكيرم أو غيرها من الألعاب، أو في الإكثار من مشاهدة مسلسلات أو أفلام دون إدراك أن الله سيسألهم عن وقتهم!

في الحديث الذي أخرجه الترمذي، وصححه الألباني لشواهده، عن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟).

ولو لم يحرص علماء الأمة على وقتهم لما أخرجوا لنا كل هذه الكتب والاجتهادات، ولو لم يحرص الأدباء والكتاب على أوقاتهم لما أنتجوا كل هذه الإبداعات والروائع.

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، فقد كان من أهم وأبرز صفات شيخنا العلامة محمد بن إسماعيل العمراني –رحمة الله تغشاه– والتي لم يتحدث عنها من كتبوا عنه: حرصه على الاستفادة من الوقت، وعدم تضييعه، فلا تجده إلا في حلقات العلم في المساجد، أو في قاعات التدريس في معهد القضاء أو في جامعة الإيمان وغيرها، أو في برامج الإفتاء التلفزيونية، أو الإذاعية، حتى وهو في منزله فهو إما يقرأ، وإما يكتب، وإما يرد على الأسئلة والفتاوى التي تصله من الناس من مختلف أنحاء اليمن ومن خارج اليمن أيضًا.

وهناك أمر آخر لا يعلمه الكثير من الناس، وهو أن العلامة العمراني عندما يقرأ في كتاب يقرأ قراءة مثمرة، فيضيف بعض الحواشي، ويعقب بالردّ إذا استدعى الأمر، وقد يختار بعض المختارات ويشير إليها، وقد جمع نجله السفير عبد الرزاق العمراني الكثير مما خطه العلامة العمراني في كتابه الرائع (سفينة العمراني – معارف ولطائف) وسنتوسع –بإذن الله– في الحديث عن هذا الأمر في باب مؤلفاته، وإنما أوردناه هنا في إطار حرصه على الوقت –رحمه الله–.

ويتحدث نجله السفير عبد الرزاق العمراني في كتابه (سفينة العمراني – معارف ولطائف) عن حرصه على الوقت في حياته، وقد بلغ التسعين

من عمره، ونصيحته لطلبته باستغلال الوقت، فيقول نقلًا عن والده العلامة العمراني: يقال في المثل: "الوقت من ذهب" لكني أقول للشباب: (الصحيح أن الوقت أغلى من الذهب والماس أيضًا؛ إن الذهب إن فات يُعوض، وربما أكثر مما فُقد، أما الوقت فلا يمكن أن تعيده قوة مهما كانت... فنجده دائمًا ينصح من قَدِم إليه من طلبة العلم بأن يستغلوا الوقت في المطالعة والقراءة واكتساب المعارف، خاصة في الصغر، وينصح الطالب بأن يبدأ بمطالعة كتب التاريخ والسير، فيبدأ بمطالعة سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ثم بتراجم العلماء كابن تيمية والعز ابن عبد السلام وابن حجر العسقلاني وغيرهم من عظماء المسلمين، ويضيف بالقول إن اليوم (24) ساعة فخذوا نصفها للنوم والأكل وغيره، والنصف الآخر استغلوه في طلب العلم، ويضيف أنا نادم على ما مضى عليّ من وقت)[1].

ويضيف السفير عبد الرزاق العمراني: (هذا رغم أن الوالد لا يزال ظل إلى آخر عمره يستغل وقته في القراءة أو الفتوى أو التدريس، أما قبل حوالي ثلاث سنوات وهو يقترب من التسعين عامًا، فكان يعمل بطاقة تضاهي طاقة الشباب، فكان يُدرّس في مسجد الزبيري درسين: الأول

[1] انظر للتوسع: كتاب (سفينة العمراني لطائف ومعارف) إعداد السفير عبد الرزاق العمراني صـ 44.

بعد صلاة الفجر، والثاني بعد صلاة المغرب، إضافة إلى درس في جامعة الإيمان، وآخر في معهد القضاء العالي صباحًا، ومع هذا يجيب على الفتاوى المكتوبة منها والشفهية، وبالرغم من كل هذا عندما يخلو في البيت يقرأ ويطلع، حتى إنه عندما جاء إلى الأردن للعلاج من ألم أصاب يده اليسرى عندما سمع الطبيب ببعض برامج الوالد استغرب، وقال: يجب التخفيف وتقليص البرنامج بحيث لا يكون أكثر من أربع ساعات بين تدريس وإفتاء).

رحم الله شيخنا العمراني.. ونصيحة للجميع: نظموا أوقاتكم ولا تضيعوها، فهي أعماركم التي ستُسألون عنها..

عن إدراكي لأهمية الوقت وضرورة القراءة

في منتصف مايو 2022م قلت:

– سأستريح اليوم وغدًا الجمعة أيضًا، فقد أجهدت ذهني في القراءة والكتابة.

بعد الغداء وبعد أن شربت الشاي، بدأت أقرأ، ثم خطرت فكرة جمع مقالاتي التي كتبتها عن علماء اليمن، والإضافة إليها وتنقيحها، ثم إصدارها في كتاب، وبدأت أجمع كتاباتي في هذا المجال حتى وصلت إلى تراجم 20 من العلماء والأعلام الذين كتبت عنهم في نحو 100 صفحة، وجاءت الزوجة إلى المكتبة فرأتني منهمكًا في العمل فسألتني:

– قلت سترتاح؟!

فقلت لها:

– خلاص سأرتاح من بعد المغرب.

وقررت أن أواصل جمع الكتابات حتى أصل إلى 200 صفحة، ليكون الكتاب الأول أو الجزء الأول من الكتاب، لأنني كتبت عن أكثر من

100 عالم وعلم من أعلام اليمن على الأقل، بعضهم لم يكتب عنهم أي كاتب غيري.

الـ 200 صفحة وورد بعد إخراجها بشكل كتاب تصبح 350 صفحة على الأقل، وهذا سيكون الكتاب الأول –بإذن الله–، ويتبعه الكتاب الثاني، حتى تصبح سلسلة متواصلة.

بعد المغرب بدأت بكتابة عدة مقالات، وبعد ساعات رأيت الزوجة حزينة، وتذكرني أن الليلة ليلة جمعة، والمفروض أرتاح وأسمر معها، فتوقف.

أمثالي يظلمون أهاليهم، فلا يجلسون معهم الوقت الكافي، ومؤخرًا صرت أدرك أنهم يلتمسون لي العذر، وأعترف أنني مقصر معهم، وكم تمنيت أن تتوفر لدي إمكانات وأسافر بالزوجة والأطفال نزهة خارج اليمن لشهر أو لشهرين، فلي فترة طويلة أعدهم وأمنيهم بالسفر إلى إندونيسيا أو تركيا أو أي دولة تصلح للعلاج والنزهة، وحين يذكرونني بوعودي أعطيهم محاضرة مطولة عن الواقع المزري والظروف الصعبة والمستجدات بالشرق الأوسط، وكيف أن العين بصيرة واليد قصيرة.

مشكلتي أنني لا أستطيع أن أظل ولو لساعة هكذا دون قراءة أو كتابة أو مشاهدة فيلم وثائقي أو لقاء أو برنامج مفيد، وإذا قلت اليوم سأرتاح، يدرك الجميع أنني سأجهد نفسي أكثر!

يعلم الله أنني ندمت على إضاعتي للكثير من وقتي في متابعة الشأن السياسي بما فيه من مكايدات ومؤامرات وأحداث كالرمال المتحركة لا تثبت على حال.

لا يعني هذا أن نتعامى عما يحدث، وألا يكون لنا موقف، ولكن إفناء العمر في متابعة الشأن السياسي والإغراق فيه، وخاصة في هذه الفترة، أمر يتلف الأعصاب ويهدر العمر، وخاصة أنه لا توجد في اليمن سياسة، توجد مؤامرات، بيع وشراء، معراصة، و... إلخ.

قد يمر عليّ عام كامل ولا أذهب فيه إلى مقيل، وإذا ذهبت إلى عزاء أو عرس، فلا أزيد عن عشر دقائق، أقدّم فيها واجب التعزية أو التهنئة وأمضي!

وهذا لأنني أدرك قيمة الوقت وأقدر أهميته، وأحزن عندما أجد الناس يهدرون الكثير من أعمارهم فيما لا طائل منه، فتجدهم في بعض المجالس التي تستمر لساعات لا حديث فيها إلا عن الأحداث، وكل

واحد منهم قد تقمص دور المحلل السياسي والخبير الاقتصادي والمفكر والطبيب و... إلخ!

ولو أن هذه المجالس أو المقايل تُنظم ويُستفاد منها بطرح قضايا محددة، وإبداء الآراء حولها، في نقاش جاد، أو قراءة كتب ومناقشة مضمونها، أو الاستفادة من برنامج نافع، لاستفاد الناس منها كثيرًا، ولكنها في الغالب مثل الأسواق.. كل اثنين أو ثلاثة لديهم حديث أو نقاش منفصل!

وتجد البعض يقولون: هيا نروح ذلك المكان أو المقيل نجزع وقت!

وكأننا لن نحاسب عن أوقاتنا؟!

إنَّا لَنَفْرَحُ بالأيَّـامِ نقـطَعُـهَا
وكلُّ يومٍ مضَى جُزْءٌ من العُمْرِ

مع العلم أن أوقاتنا هي أثمن من الذهب والألماس، لأنها أعمارنا التي سنُحاسب عليها أمام الله يوم القيامة، فماذا سنقول له إذا سألنا:

. فيم أفنيتم أعماركم؟!

ولو تأملت في القرآن الكريم، لوجدت أن الله –عز وجل– قد أقسمَ بالليلِ إذا يسري، وبالليل إذا عسعس، وبالصبح إذا تنفس، وأقسمَ بالفجر، وليال عشر، وأقسم بالنهارِ إذا تجلَّى، كما أقسمَ بالعصر.. والله –سبحانه– لا يقسم إلا بأمرٍ عظيمٍ، لبيانِ شَرَفِه وأهميتِه، ولفتِ أنظارِ الناس إليه.

وهذا القسَم المتكرر بالأوقات المختلفة يريد الله منه أن يوضح لنا أهمية الوقت، وأننا يجب ألا نضيعه ولا نفرط فيه.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والدارمي عن أبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بن عبيد الأسلمي –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟».

ويُروى عن ابن مسعود –رضي الله عنه–، قال: «ما ندمتُ على شيءٍ ندمِي على يومٍ غَرَبَتْ شمسُهُ، نقَصَ فيه أجلي، ولم يَزِدْ فيه عمَلِي».

ويُروى عن الحسن البصري –رحمه الله–، قال: «أدركتُ أقوامًا كان أحدُهم أشَحَّ على عُمُرِهِ منه على درْهَمه».

قال الوزير يحيى بن هُبَيرة البغدادي –رحمه الله–:

والوقْتُ أَنْفَسُ ما عَنِيتَ بِحِفْظِهِ

وَأَرَاهُ أسهَلَ ما علـيـك يَضِيـعُ

السيرة الذاتية

محمد مصطفى العمراني . قاص وكاتب يمني من مواليد 1979م . محافظة إب، عمل في الصحافة اليمنية منذ العام 2000م، نشر مئات المقالات في الصحافة اليمنية والعربية..

صدر للمؤلف :

1. عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر . قصص قصيرة.

2. نحن والحمير في المنعطف الخطير . قصص قصيرة.

3. من عجائب تنكة بلاد الخرافات . قصص قصيرة.

4. لصوص لكن مبدعون . قصص قصيرة.

5. مجنون الفقيه . قصص قصيرة.

6. توبة غريبة . قصص قصيرة.

7. المصير المنتظر . قصص قصيرة.

8. الأعجوبة . قصص قصيرة ستصدر قريبا.

9. كنز غريب وكبش أسود . قصص قصيرة ستصدر قريبا.

10 . العلامة العمراني رمز التجديد والوسطية . تراجم.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكتروني
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

الإهداء 6

في جمال اللغة العربية / نماذج 7

العربية لغة الجمال والشاعرية والثراء 8

الرافعي.. لغة متفردة، وأسلوب ساحر 15

المقالح.. سفير الإبداع اليمني إلى العالم 22

باكثير.. رائد يمني لم ينل ما يستحقه 27

عن رائد أدب الأطفال في اليمن 35

الدكتور/ عبد الواحد الخميسي، العالم الناقد 44

عن شاعر وُلد بين الخمائل.. وأنصت لبكاء الياسمينة 49

عزيز نيسين.. وأهمية التدوين 58

تناقضات عجيبة!..... 63
أديبة شهيرة.. ولكن! 64
داعية الانفتاح يغار على زوجته! 68
قصص من المفارقات والعجائب!..... 73
تأملات 79
من عجائب الأقدار! 80
مذكرات "القرضاوي».. وأهمية العلم الشرعي 85
ذهب "أنور خوجة».. وبقي الإسلام!..... 90
نهاية "أنور خوجة» المخزية!..... 96
سجدة العلامة/ الشعراوي في نكبة 1967م! 98
المؤرخ "إبراهيم شبوح».. وقراءة جديدة للتراث.....103
"محمد أسد».. والسعادة الزائفة في أوربا.....109
قصة طريفة يرويها الدكتور عبد الرزاق نوفل.....112
الدكتور/ مصطفى محمود.. وروعة المذكرات.....115
أول تجربة للتلاعب بالرأي العام 126
قصص شخصية 130
عن خلود القصة.. وآنية المقال.....131
أديب فاشل.. يبحث عن تكفير عاجل!!.....135

الإساءة للمقدسات ليست شرطًا للإبداع! 140
أنا.. والسلفادور دالي.. والسوريالية اليمنية! 144
فرنسا لا توزع جوائزها مجانًا 151
عبارة كرّست السرقة الفكرية! 155
الذاكرة والحنين للماضي 160
الأدب الساخر شخصيات ونماذج 165
رائد الكتابة الساخرة في العالم العربي 166
الأستاذ عبد الملك الشيباني.. رائد الكتابة الساخرة 174
الدكتور كمال البعداني.. وروعة الكتابة الساخرة 179
عن قصصي الساخرة 182
قصة طريفة من الأدب الساخر 185
عن السينما والدراما نماذج وصناعة 191
رسالة مهمة في فيلم جاد 192
نحو سينما جادة في اليمن 196
دحباش.. من ظاهرة فنية إلى سبة مناطقية! 200
أدب الرحلة – نماذج 206
اليمن في ذاكرة الرحالة "ابن بطوطة» 207
محمد بن ناصر العبودي.. رحالة العصر 218

السفير عبد الوهاب العمراني.. وأدب الرحلة 221
في القراءة المثمرة قصص ونماذج 225
كيف يقوي القرآن الملكة الأدبية؟..... 226
أفكارنا نتاج ما نقرأ..... 232
كيف تغيّرت نوال السعداوي نتيجة قراءتها؟! 240
كيف تقرأ بشكل ناجح ومثمر..... 243
من قصص العلامة العمراني مع القراءة 247
عن إدراكي لأهمية الوقت وضرورة القراءة 251
السيرة الذاتية 257

مقتطف
من أحد عناقيد
دوحة هذا الكتاب

اللغة العربية هي اللغة الأكثر شاعرية بين اللغات في العالم والأجمل نطقا وفصاحة والأكثر جمالا والأبهى سحرا وجلالا والأبلغ تعبيرا والأبسط لفظا والأجمل رسما.

ومن روعة اللغة العربية هذه الشاعرية العجيبة فمن لفظ الكلمة تعرف معناها لو تأملت فمثلا كلمة "جهنم " من يتأمل لفظها سيجده يوحى بالتجهم والخوف والوحشة غير كلمة "سلسبيل" والتي توحي بالسلاسة والرقة كأن اللفظ جدول ينساب حين النطق في الفم وهو لفظ يناسب المعنى تماما، ومثلا كلمة أفتتح ألا يوحي لفظها بتفتح وانفكاك وانفراج، غير كلمة أغلق يوحي لفظها بالإقفال والانسداد وغيرها كثير، إضافة إلى تلك الشاعرية العجيبة، ومعرفة المعنى من لفظ الكلمة، إلى كون الكلمات العربية والآيات القرآنية يمكن أن تتحول إلى لوحات مدهشة باذخة الجمال.

صدر له
عن
دار بسمة

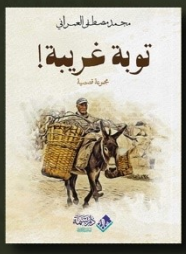

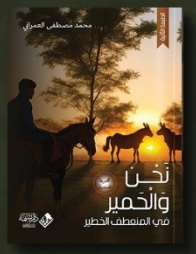

Bassmabook
0021277181493
Contact@darbassma.net
دار بسمة للنشر الإلكتروني